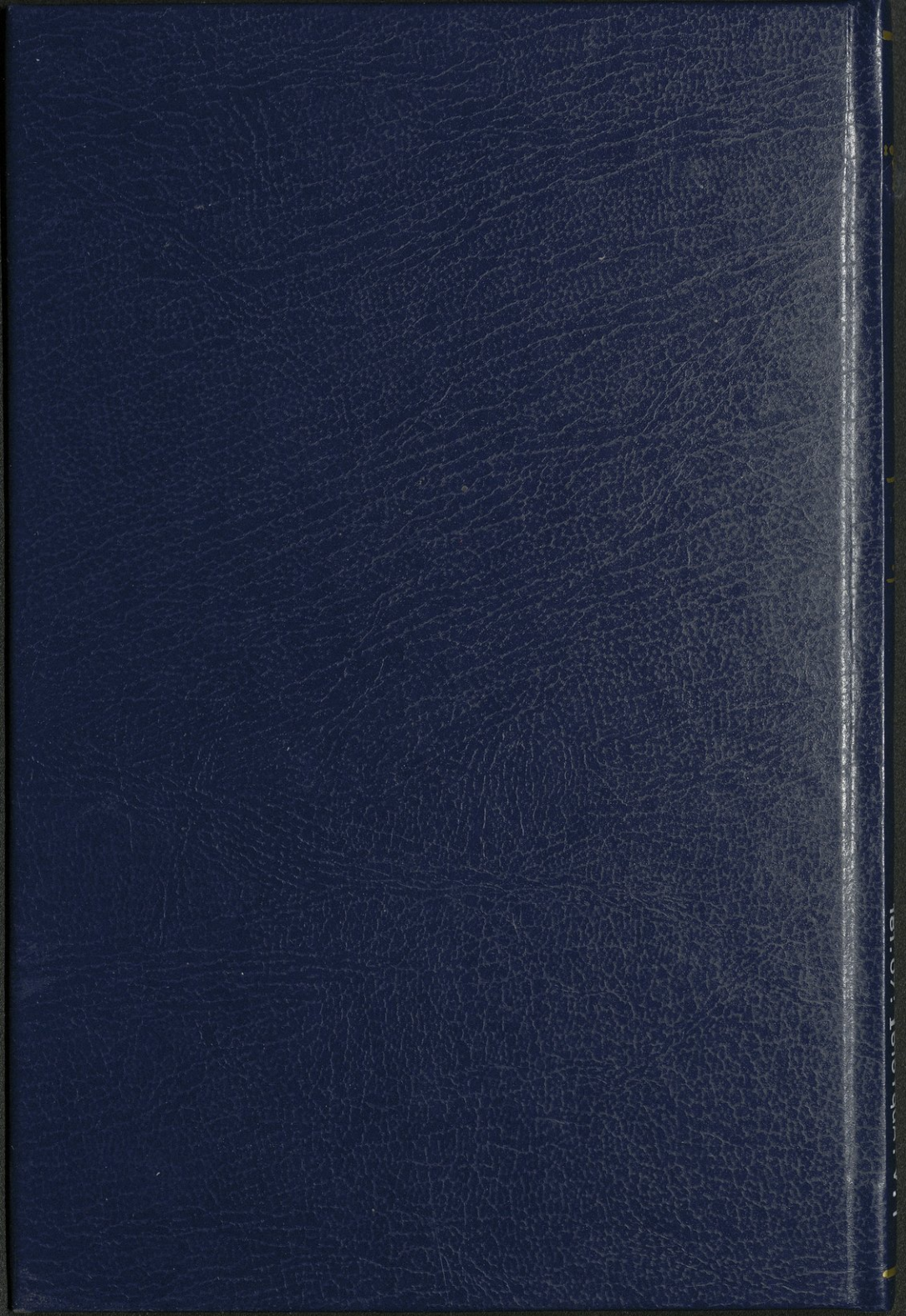
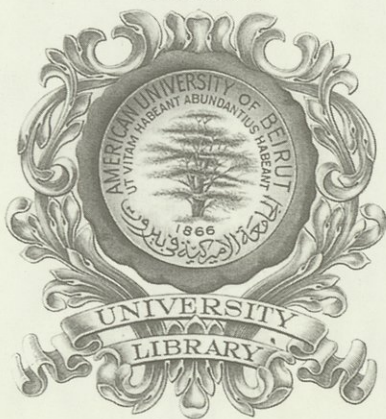


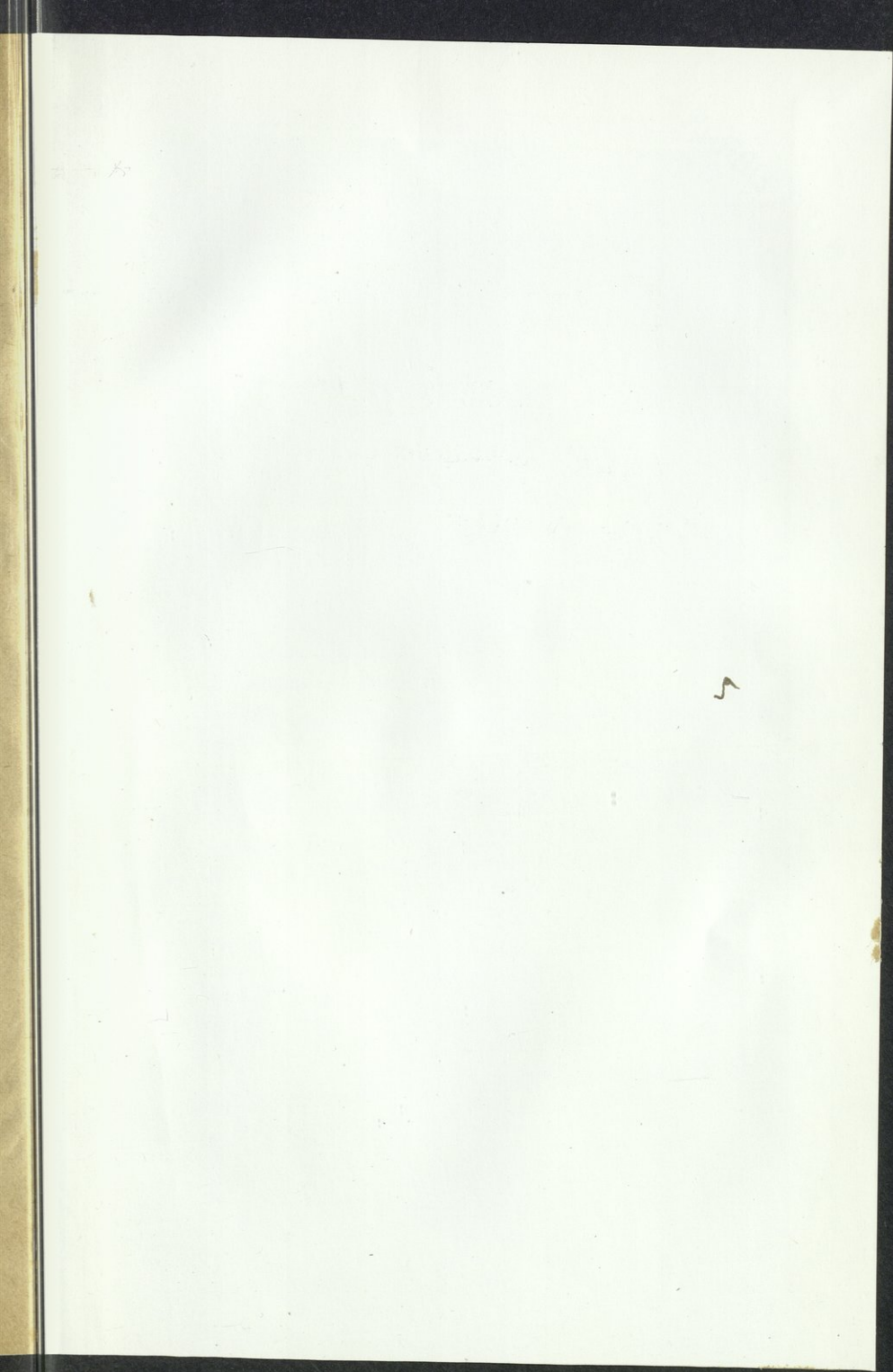


A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY



يوحنا قير
181.07
I 615 YquA
V.1

ابن سينا



دراسته - مختارات

الجزء الاول

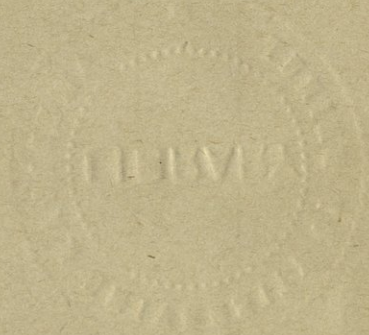
الطبعة الكاثوليكية
بيروت

2





ابن سینا



ابن سينا

٩٨٠ - ١٠٣٦

٣٧٠ - ٤٢٨ هـ^{١)}

ترجمته

هو الشيخ الرئيس ابو عليّ حسين بن سينا ، فارسيّ الاصل .
استملأه تلميذه ابو عبيد الجوزجاني ما لم يعرفه عن حياته وبعض
شبابه ، ثم ذكر ما عرفه هو عنه منذ التحقق به ، فكانت سيرة رواها
اكثر من مؤرخ . واننا ننقل لك سيرة ابن سينا هذه ، كما رواها جمال
الدين القفطي في كتابه تاريخ الحكماء ، قال :

١) تاريخ ولادة ابن سينا غير متفق عليه ، فمنهم من يمينه سنة ٣٧٠ هـ ، ومنهم
من يمينه سنة ٣٧٥ او ٣٧٣ . والتاريخ الاول ثابت في نظرنا : ان ابن سينا قد
طبّ نوح بن منصور الذي مات سنة ٣٨٧ هـ ، وقد طبّبه بعد السادسة عشرة من
عمره ، وقبل الثامنة عشرة ، كما يظهر من رواية ابن سينا نفسه . وعليه لا يبقى ، في
نظرنا ، مجال للشك او التردد .

ثم ان الجوزجاني يقول انه صحب ابن سينا ٢٥ سنة ، ويقول في مقدمة «الشفاء»
انه اتصل به وسنّ الفيلسوف قريبة من اثنتين وثلاثين سنة .

« سأله رجل من تلاميذه^(١) عن خبره ، فأملى عليه ما سطره عنه وهو انه قال :

حدثنا وتعلم :

« ان ابي كان رجلاً من اهل بلخ ، وانتقل منها الى بخارى ، في ايام نوح بن منصور^(٢) ، واشتغل بالتصرف ، وتولى العمل ، في اثناء ايامه ، بقرية يقال لها خرميش من ضياع بخارى ، وهي من امهات القرى ، وبقرية يقال لها أفشنة ، وتزوج امي منها بها ، وقطن بها ، وولدت منها بها ، وولد اخي .

ثم انتقلنا الى بخارى^(٣) ، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب ، وكملت العشر من العمر ، وقد اتيت على القرآن ، وعلى كثير من الأدب ، حتى كان يُقضى مني العجب .

وكان ابي ممن اجاب داعي المصريين ، ويُعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك اخي . وكانا ربما تذكرنا بينهما ، وانا اسمع منها ، وادرك ما يقولانه ، وابتدأ يدعوانني ايضاً اليه ، ويجريان على لسانهما ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند .

واخذ والدي يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند ، حتى اتعلم منه .

ثم جاء الى بخارى ابو عبدالله الناطلي ، وكان يدعي الفلسفة ، وانزله

(١) هو ابو عبيد الجوزجاني .

(٢) نوح بن منصور ، امير ما وراء النهر . ولد في بخارى سنة ٣٣٥ هـ ، ونولى الامارة سنة ٣٦٦ هـ ، ومات سنة ٣٨٧ هـ .

(٣) كان ذلك في حدود سنة ٣٨٠ هـ .

ابي دارنا رجاء تعليمي منه . وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه ، وارتدد فيه الى اسماعيل الزاهد ، وكنت من خيرة السائلين ...

ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي على التالي . ولما ذكر لي حدّ الجنس انه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، فاخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب مني كل العجب ، وحذر والدي بشغلي بغير العلم . وكان اي مسألة قالها لي اتصورها خيراً منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، واما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر . ثم اخذت اقرأ الكتب على نفسي ، واطالع الشروح ، حتى احكمت علم المنطق .

وكذلك كتاب اقليدس ، فقرأت من اوله خمسة اشكال او ستة عليه ، ثم توليت حلّ بقية الكتاب بأسره .

ثم انتقلت الى المجسطي . ولما فرغت من مقدماته ، وانتهيت الى الاشكال الهندسية ، قال لي التالي : تولّ قراءتها ، وحلّها بنفسك ، ثم اعرض علي ما تقرأه لابين لك صوابه من خطأ . وما كان الرجل يقوم بالكتاب . واخذت احلّ ذلك الكتاب ، فكم من شكل مشكل ما عرفه الا وقت ما عرضته عليه ، وفهمته اياه . ثم فارقتي التالي متوجّها الى كركانج .

واشغلت انا بتحصيل الكتب من النصوص والشروح ، من الطبيعي والالهي ، وصارت ابواب العلم تنفتح علي .

ثم رغبت في علم الطب ، وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم انني برزت فيه في اقل مُدة ... وتعهّدت المرضي فانفتح علي من ابواب المعالجات ، المقتبسة من التجربة ، ما لا يوصف . وانا مع ذلك اختلف الى الفقه واناظر فيه . وانا في هذا الوقت من ابناء ست عشرة سنة .

ثم توفرت على القراءة سنة ونصفاً ، فاعدت قراءة المنطق ، وجميع
 اجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت
 في النهار بغيره . . . وكلماً كنت التحير في مسألة ، او لم اكن اظفر
 بالحد الاوسط في قياس ، ترددت الى الجامع ، وصليت وابتهلت الى
 مبدع الكل ، حتى فتح لي المغلق منه ، ويسر المتعسر . وكنت ارجع
 بالليل الى داري ، واضع السراج بين يدي ، واشتغل بالقراءة والكتابة ،
 فيها غلبني النوم ، او شعرت بضغف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب
 ريثما تعود الي قوتي ، ثم ارجع الى القراءة . ومتى اخذني ادنى نوم احلم
 بتلك المسألة بعينها ، حتى ان كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام .
 ولم ازل كذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها
 بحسب الامكان الانساني . وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته
 الآن^١ لم ازد فيه الى اليوم ، حتى احكمت علم المنطق والطبيعي
 والرياضي .

ثم عدت الى العلم الالهي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة^٢ ، فما
 كنت افهم ما فيه ، والتبس علي غرض واضعه ، حتى اعدت قراءته
 اربعين مرة ، وصار لي محفوظاً ، وانا مع ذلك لا افهمه ، ولا المقصود
 به . وآيست من نفسي ، وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه . واذا
 انا في يوم من الايام حضرت ، وقت العصر ، في الوراقين ، وبید دلال
 مجلد ينادي عليه ، فعرضه علي فرددته رد متبرم معتقد ان لا فائدة في
 هذا العلم . فقال لي : اشتر مني هذا ، فانه رخيص ابيعكه بثلاثة
 دراهم ، وصاحبه محتاج الى ثمنه . فاشتريته فاذا هو كتاب لابي نصر
 الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة . فرجعت الى بيتي ، واسرعت

(١) الآن : اي سنة ٥٠٣ = ١٠١٢

(٢) هو كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو .

قراءته ، فانفتح علي في الوقت اغراض ذلك الكتاب ، بسبب انه قد صار لي على ظهر القلب . وفرحت بذلك ، وتصدقت ثاني يومه بشي . كثير على الفقراء شكراً لله تعالى .

طبيب نوح بن منصور :

وكان سلطان بخاري ، في ذلك الوقت ، نوح بن منصور ، واتفق له مرض بلع^(١) الاطباء فيه . وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة ، فاجروا ذكرى بين يديه ، وسألوه احضاري . فحضرت وشاركتهم في مداواته . وتوسعت بخدمة ، فسألته يوماً الاذن لي في دخول دار كتبهم ، ومطالعتها ، وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فاذن لي . فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة ، في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على البعض ، في بيت كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد . وطالمت فهرست كتب الاوائل ، وطلبت ما احتجت اليه ، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، وما رأيته قبل ، ولا رأيته ايضاً من بعد . فقرأت تلك الكتب ، وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه^(٢) .

فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ، ولكنه اليوم معي انضج ، والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شي . . .

ثم مات والدي ، وتصرفت بي الاحوال ، وتقلدت شيئاً من اعمال السلطان .

(١) بلع : عجز واعيا .

(٢) قال ابن خلكان : « واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة ، فنفرد ابو علي بما حصله من علومها . وكان يقال ان ابا علي توصل الى احراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها ، وينسبه الى نفسه . »

في البحث عن امير :

ودعتني الضرورة الى الارتحال عن بخارى ، والانتقال الى كركانج^(١) .
 وكان ابو الحسين السَّهْمِيّ ، المحب لهذه العلوم ، بها وزيراً . وقدمت الى
 الامير بها ، وهو علي بن المأمون . وكنت على زي الفقهاء اذ ذاك
 بطيَّاسان ، وتحت الحنك . واثبتوا لي مشاهرة دارة تقوم بكفاية مثلي .
 ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى فسا ، ومنها الى باورد ، ومنها
 الى طوس ، ومنها الى شقان ، ومنها الى سمنقان ، ومنها الى جاجرم ،
 رأس حد خراسان ، ومنها الى جرجان ، وكان قصدي الامير قابوس^(٢) .
 فاتفق في اثناء هذا اخذ قابوس ، وجبسه في بعض القلاع ، وموته هناك .
 ثم مضيت الى دِهستان ، ومرضت بها مرضاً صعباً . وعُدت الى
 جرجان ، واتصل ابو عبيد الجوزجاني بي^(٣) ، وانشأت في حالي قصيدة فيها
 بيت القائل :

لما عظمتُ فليس مصر واسعي لما غلا ثمي عُدْتُ المشتري



قال ابو عبيد الجوزجاني ، صاحب الشيخ الرئيس : الى ههنا انتهى
 ما حكاه الشيخ نفسه . قال : ومن هذا الموضع اذكر انا ما شاهدته
 من احواله ، في حال صحبتي له ، والى حين انقضاء مدته ، والله الموفق ،
 قال :

عند ابى محمد الشيرازي :

كان بجرجان رجل يقال له ابو محمد الشيرازي يحب هذه العلوم ،

(١) كان عمره ، كما جاء في وفيات الاعيان ، اثنيتين وعشرين سنة .

(٢) قابوس ، امير جرجان وبلاد الجبل وطهرستان ، ولي الامارة من ٣٦٦

الى ٤٠٣ هـ .

(٣) كان ذلك سنة ٤٠٣ هـ = ١٠١٢

وقد اشترى للشيخ داراً في جواره ، وانزله بها ، وانا اختلف اليه كل يوم اقرأ المجسطي ، واستملي المنطق ، فأملى علي المختصر الاوسط في المنطق . وصنف لابي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الارصاد الكلية . وصنف هناك كتباً كثيرة كأول القانون ، ومختصر المجسطي وكثيراً من الرسائل ...

عند مجد الدولة :

ثم انتقل الشيخ الرئيس الى الري^(١) ، واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة^(٢) ، وعرفوه بواسطة كتب وصلت معه تتضمن تعريف قدره . وكان بمجد الدولة اذ ذاك غلبة السوداء ، فاشتغل بمداواته . وصنف هناك كتاب المعاد ...

طبيب شمس الدولة ووزيره :

ثم اتفق معرفة شمس الدولة^(٣) واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد اصابه ، وعالجه حتى شفاه الله تعالى ، وفاز من ذلك المجلس بجمع كثيرة ... ثم سألوه تغلذ الوزارة فتقلدها . ثم اتفق تشويش العسكر عليه ، واشفاقهم منه على انفسهم ، فكبسوا داره ، واخذوه الى المجلس ، واغاروا على اسبابه واخذوا جميع ما كان يملكه . وسألوا الامير قتله فامتنع منه ، وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم . فتواري في دار الشيخ ، ابي سعد بن دخدوك ، اربعين يوماً . فعاود الامير شمس الدولة علة القولنج ، وطلب الشيخ فحضر مجلسه . واعتذر اليه بكل الاعتذار ، فاشتغل عنده بمعالجته واقام عنده مكرماً مبهجلاً ، وأعيدت الوزارة اليه ثانياً .

(١) الري : هي اليوم طهران .

(٢) مجد الدولة (٣٨٧ - ٤٢٠ هـ) = (٩٩٧ - ١٠٢٩ م) : امير الري .

(٣) شمس الدولة (٣٨٧ - ٤١٢ هـ) = (٩٩٧ - ١٠٢١ م) . ابي ابن سينا هذان

سنة ٤٠٥ هـ = ٩٩٠ ، وتغلذ الوزارة تلك السنة نفسها .

قال ابو عبيد الجوزجاني : ثم سأله انا شرح كتب ارسطوطاليس ، فذكر انه لا فراغ له الى ذلك ، في ذلك الوقت . ولكن قال : ان رضيت مني بتصنيف كتاب اورد فيه ما صحّ عندي من هذه العلوم ، بلا مناظرة مع المخالفين ، ولا اشتغال بالرد عليهم ، فعلت . فرضيت به . فابتدأ بالطبيعات من كتاب الشفاء . وكان قد صنف الكتاب الاول من القانون . وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم . وكنت اقرأ من الشفاء نوبة وكان يقرأ غيري من القانون نوبة . فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم ، وعُني مجلسُ الشراب بآلاته ، وكنا نشغل به . وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمةً للامير .

فقضينا على ذلك زمناً . ثم توجه شمس الدولة الى طارم لحرب الامير بها ، وعاودته علة القولنج قرب ذلك الموضع ، واشتدت علته . وانضاف الى ذلك امراض اخر جلبها سوء تدبيره ، وقلة القبول من الشيخ . وخاف العسكر وفاته ، فرجعوا به طالبين همدان في المهد . فتوفي في الطريق .

تنكره لابن شمس الدولة :

ثم بويج ابن شمس الدولة^(١) ، وطلبوا ان يستوزر الشيخ فأبى عليهم ، وكانت علاء الدولة^(٢) سرّاً يطلب خدمته ، والمصير اليه ، والانضمام الى جانبه . واقام في دار ابي غالب العطّار متواريّاً .

وطلبت منه اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر ابا غالب ، وطلب الكاغد والمحبرة ، فاحضرهما . وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً بخطه رؤوس المسائل . وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس

(١) هو ساء الدولة ، ولي اماره همدان سنة ٥١٢ هـ ، وخلفه الامير علاء الدولة

سنة ٥١٤ هـ .

(٢) علاء الدولة امير اصفهان (٣٩٨ - ٥٤٣) = (١٠٠٧ - ١٠٤١) .

المسائل كلها بلا كتاب يحضره ، ولا اصل يرجع اليه ، بل من حفظه وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الاجزاء بين يديه ، واخذ الكاغد ، فكان ينظر في كل مسألة ، ويكتب شرحها . فكان يكتب ، في كل يوم ، خمسين ورقة حتى اتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات . وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً .

ثم اتهمه تاج الملك بمكاتبته علاء الدولة ، فانكر عليه ذلك ، وحث في طلبه ، فدلّ عليه بعض اعدائه ، فاخذوه فادّووه الى قلعة يقال لها فردجان ، وانشأ هناك قصيدة فيها :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في امر الخروج !

وبقي فيها اربعة اشهر . ثم قصد علاء الدولة همذان ، واخذها ، وانهمزم تاج الملك ومرت الى تلك القلعة بعينها . ثم رجع علاء الدولة عن همذان ، وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى همذان ، وحملوا معهم الشيخ الى همذان^(١) ونزل في دار العلوي ، واشتغل هناك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء . وكان قد صنّف بالقلعة كتاب الهداية ، ورسالة حي ابن يقظان ، وكتاب القولنج ...

عند علاء الدولة :

وكان تقضى على هذا زمان ، وتاج الملك ، في اثناء هذا ، يمّنيه بواعيد جميلة . ثم عن الشيخ التوجه الى اصفهان ، فخرج متبركراً ، وانا واخوه وغلامان معه ، في زبي الصوفية ، الى ان وصلنا الى طبران ، على باب اصفهان ، بعد ان قاسينا شدائد الطريق^(٢) . فاستقبله الاصدقاء ، اصدقاء الشيخ وندماء الامير علاء الدولة وخواصه ، وحمل اليه الثياب والمراكب الخاصة ...

(١) كان ذلك حوالي ٥٦١٣ هـ = ١٠٢٢

(٢) كان ذلك في حدود ٥٦١٤ هـ = ١٠٢٣

ثم رسم الامير علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه ،
 بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ ابو علي من جملتهم ،
 فما كان يُطابق في شيء من العلوم . واشتغل باصفهان بتتبع كتاب الشفاء ،
 وفرغ من المنطق والمجسطي . وكان قد اختصر اقليدس والارثاطيقي
 والموسيقى ، واورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى ان الحاجة
 اليها داعية وتم الكتاب المعروف بالشفاء . ما خلا كتابي النبات
 والحيوان فانه صنفها في السنة التي توجه فيها علاء الدولة الى ساور خواست ،
 في الطريق . وصنف ايضاً في الطريق كتاب النجاة . واختص بعلاء
 الدولة ، وصار من ندمائه .

قال : وكان من عجائب امر الشيخ اني صحبته وخدمته خمساً
 وعشرين سنة ، فما رأيته ، اذا وقع له كتاب مجدد ، ينظر فيه على
 الولاء ، بل كان يقصد المواضع الصعبة منه ، والمسائل المشككة ، فينظر
 ما قاله مصنفه فيه ، فيبين مرتبته في العلم ، ودرجته في الفهم .

وكان الشيخ جالساً يوماً من الايام بين يدي الامير ، وابو منصور
 الجبّان حاضر ، فجرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره .
 فالتفت الشيخ ابو منصور الى الشيخ يقول : انك فيلسوف وحكيم ،
 ولكنك لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها . فاستنكف الشيخ من
 هذا الكلام ، وتوفّر على درس كتب اللغة ثلاث سنين . فبلغ الشيخ
 في اللغة طبقة قلما يتفق مثلاً . وانشأ ثلاث قصائد ضمنها الفاظاً غريبة
 في اللغة ، وكتب ثلاثة كتب احدها على طريقة ابن العميد ، والثاني على
 طريقة صاحب ، والثالث على طريقة الصايي

وكان الشيخ قد صنف بجرجان المختصر الاصغر في المنطق ، وهو
 الذي وضعه بعد ذلك في اول النجاة . ووقعت نسخة الى شيراز ، فنظر
 فيها جماعة من اهل العلم هناك ، فوقع لهم الشبه في مسائل منها ،

فكتبوها على جزء . وكان القاضي بشيراز من جملة القوم ، فانفذ بالجزء ...
على يدي ركاتي قاصد ، وسأله عرض الجزء ، على الشيخ ، واستنجاز
اجوبته ... وامرني الشيخ باحضار البياض ، وقطع اجزاء منه ، فشدت
له خمسة اجزاء ... وصأيانا العشاء ، وقدم الشمع ، وامر باحضار الشراب ،
 واجلسني واخاه ، وامرنا بمناولة الشراب ، وابتدأ هو بجواب تلك المسائل .
 وكان يكتب ويشرب الى نصف الليل ، حتى غلبني واخاه النوم ، فامرنا
 بالانصراف . فعند الصباح قُرع الباب ، فاذا رسول الشيخ يستحضرني ،
 وهو على المصلى ، وبين يديه الاجزاء الخمسة ...

مرضه وموته :

وكان الشيخ قوي القوى كلها ، وكانت قواه الشهوانية اقوى واغلب ،
 وكان كثيراً ما يشتغل به ، فأثر في مزاجه .

وكان الشيخ يعتمد على قوة مزاجه حتى صار امره ، في السنة التي
 حارب فيها علاء الدولة تاش فراش على باب الكرخ ، الى ان اخذ الشيخ
 قولنج ... فاشتغل بتدبير نفسه ... لكنه مع ذلك لا يتحفظ ،
 ويكثر التخليط ... ولم يبرأ من العلة كل البرء ، فكان يتكس ويبرأ
 كل وقت . ثم قصد علاء الدولة همدان ، وسار معه الشيخ ، فعاودته
 في الطريق تلك العلة الى ان وصل الى همدان ، وعلم ان قوته قد
 سقطت ، وانها لا تنفي بدفع المرض ، فأهمل مداواة نفسه ، واخذ يقول :
 المدبر الذي كان يدبرني قد عجز عن التدبير ، والان فلا تنفع المعالجة .
 وبقي على هذا اياماً ، ثم انتقل الى جوار ربه ، ودفن بهمدان . وكان
 عمره ثانياً^(١) وخمسين سنة ، وكان موته في سنة ثمان وعشرين واربعمائة .

(١) وفي رواية اخرى : ثلاثاً . وهو خطأ .

مخطوط
رقم ٥٨

صفاته

من سيرة ابن سينا نبتين بعض صفاته واهمها ثلاث :

الاولى قدرة نادرة على العمل ، وتنوع في هذه القدرة .

قضى ابن سينا شطراً من عمره ليحصل علوم عصره من ادب وفقه ، من هندسة وفلك ، من طب وفلسفة . وقد فاته المعلم الحاذق فحصل على نفسه اكثر ما حصل ، وانفق في ذلك جهداً ، ولاقى عقبات .

ثم جاء دور التأليف ، فانصرف ابن سينا يضع الكتب الجنية ، في العلم والفلسفة ، ان شغلته السياسة نهائاً ليلاً ، وان اصطجه امير في حرب صنف في الطريق .

وقد مدت ابن سينا ، في التحصيل والتأليف ، ذاكرة غريبة ، فحفظ كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو وهو لما يفهمه ، ووضع طبيعيات الشفاء وأهلياته دون الرجوع الى اصل او كتاب . على ان هذه الذاكرة قد حلت احياناً محل العقل ، فنقل ابن سينا بدلاً من ان يبتكر ، واستحضر ما وعى بدلاً من ان يفكر .

وما حصر ابن سينا جهوده على العلم ، بل عنى بالسياسة ايضاً ، فتقلد الوزارة مرتين ، وتوالت عليه النعم والحن .

واقبل ابن سينا على اللذات ، فشرب الخمر ، وتمتع بالغناء ، واسرف في شهوات الجسد .

كل هذا يدل على ما كان لابن سينا من قدرة جلود . وقد شعر ابن سينا بقدرته تلك ، فاعتمد عليها وغالى في الاعتماد ، فأتانى في تأليف ، او احجم امام شهوة ، مما هدد جسده ، وانهك قواه ، وطواه قبل بلوغ الامد .

والصفة الثانية نتيجة طبيعية الاولى ، وهي اعتداد بالنفس ، وطموح الى المجد .

لقد باهى ابن سينا بسرعه في تحصيل العلوم ، وباعجاب الناس به ، وبتفوقه على استاذه التالي .

وقد روى لنا تنقله من بلد الى بلد ، كما روى لنا ذلك الجوزجاني ايضاً ، وكان همه تبوأ منصب ، وبلوغ ما يستحق . تباطأ عليه الدهر زمناً ، فشكا وتألم :

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا غني عدمت المشتري
وعبث به الدهر مرات ، فرفعه وحطه ، سما به الى كرسي الوزارة ، وسامه النفي والسجن .



وثالث صفات ابن سينا حرصه على القيام ببعض ظواهر الدين . انه كان يهتم الى الله حين يستعصي عليه مشكل ، ويتصدق على الفقراء حين يفهم مغالاً ، ويتلو الصلوات في اوقاتها كما يروي الجوزجاني . على انه كان يقرن الى هذه الظواهر اذماناً على الشراب ، واغراقاً في الشهوة ، وارا . في الدين مخالفة لعقائد الاسلام .

أما

لن نثبت هنا كل تأليف ابن سينا ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود، بل نكتفي بهم كتبه المطبوعة من طبية وفلسفية^(١) :

١ - كتبه الطبية

١ - القانون : شرع ابن سينا بتأليفه في جرجان ، في دار ابي محمد الشيرازي .

في هذا الكتاب وصف للتشريح عظام وعصل وعصب وشرابين واوردة ، وعرض لامراض وادوية ، وهو من أهم ما كتب العرب في الطب .

طبع كتاب القانون لأول مرة في روما سنة ١٥٩٣ ، ثم في مصر سنة ١٢٩٤ هـ .

ترجم كاملاً الى اللاتينية ، ترجمه جيرار الكريوني (١١٨٧+) ، وظل يدرس في جامعات اوربا حتى القرن السادس عشر .

٢ - عدة اراجيز في الطب : اكثرها غير مطبوع . ارجوزة في التشريح - الارجوزة في الطب - ارجوزة في الوصايا الطبية - ارجوزة لطيفة في وصايا ابقراط . . .

ب - كتبه الفلسفية

نقسم كتب ابن سينا الفلسفية حسب المواضيع التالية :

في الفلسفة النظرية :

١ - اقسام العلوم العقلية : العلوم نظرية (رياضيات ، وطبيعيات ، والهيئات) ، وعممية (الاخلاق ، والسياسة المنزلية ، والسياسة المدنية) .

(١) نثبت كتبه العربية ، وان ابن سينا اجاد الفارسية ، وآلف فيها .

وفیصل ابن سینا کلاً من الرياضیات والطبیعیات والالهیات الى اجزائها ، كما يذكر المنطق واقسامه .

٢- الشفاء : شرع ابن سینا بوضع طبیعیات الشفاء ، وهو وزیر شمس الدولة لثاني مرة . واتم طبیعیاته والهياته — ما خلا کتابي الحيوان والنبات — وشرع بالمنطق ، وهو متوارٍ في دار ابي غالب العطار من وجه ابن شمس الدولة . وقد انجز المنطق ، ووضع کتابي الحيوان والنبات ، وهو في ظل علاء الدولة .

يبحث الشفاء في المنطق ، والرياضيات ، والطبیعیات ، والالهيات ، وينتهي بشيء من السياسة .

طبعت طبیعیات الشفاء والهياته في طهران ، سنة ١٣٠٣ هـ ، وتحلل الطبعة شروح .

وبمناسبة الفية ابن سینا ، باشرت وزارة المعارف المصرية طبع الكتاب ، على يد لجنة رسمية ، وقد صدر الى الآن مدخل المنطق في جزء مستقل . ترجم الى اللاتينية من هذا الكتاب : مدخل المنطق ، والطبیعیات ما عدا كتاب النبات ، والالهيات كاملة .

٣- النجاة : مصر ١٣٣٣ هـ : يبحث كتاب النجاة في المنطق ، والرياضيات ، والطبیعیات ، والالهيات ، وقد اهملت الطبعة المصرية الرياضيات . منطق النجاة هو كتاب المختصر الاصغر الذي كان آلفه ابن سینا في جرجان .

الرياضيات من وضع الجوزجاني ، اقتبسها من كتب استاذہ . اما الطبیعیات والالهيات فقد اختصر ابن سینا في بعضها كتاب الشفاء ، ونقل البعض بنصه ، واهمل البعض .

٤- الاشارات والتنبيهات : لیدن ١٨٩٢ : الكتاب عشرة ائهاج في المنطق ، وعشرة اناط في الحكمة . قال ابن ابي اصبيعة في الاشارات

والتنسيبات : « هي آخر ما صنف في الحكمة واجوده ، وكان يضمن به . »
هذا الكتاب انضح كتب ابن سينا فكرة ، واصحها تعبيراً ، جمع بين
دقة الایجاز ، وصفاء السبك . نقلته الى الافرنسية الانسة غواشون
(Goichon) .

٥ - الحدود : تحايد لالفاظ فلسفية كالعقل ، والنفس ، والصورة
والهيولى ...

٦ - الطبيعيات من عيون الحكمة : في الهيولى ، والصورة ، والحركة والنفس .
وعيون الحكمة كتاب لابن سينا في المنطق والطبيعيات والالهيات .
٧ - قصيدة في النفس .



في الاشراف :

١ - رسالة في العشق : كل كائن يعشق كماله الخاص ، وكلنا نعشق الله .
٢ - رسالة الطير : النفس في الجسد كطير في قفص ، تتحرر جزئياً
في الحياة فتحظى بمشاهدة الله ، وتتحرر تحرراً كاملاً بالموت فتعلم به
على وجه اكل .
٣ - حي بن يقظان : كتب ابن سينا هذه الرسالة يوم كان مسجوناً
في قلعة فردجان .

حي بن يقظان - وهو العقل الفعّال - يطلع المؤلف على نظام الكون ،
وعلى قوى النفس ، ويدعوه الى الاستعانة بالمنطق والفلسفة للتغلب على
قوى البدن ، والاتصال بالله .

٤ - سلامان وابسال : قصة رمزية نعرف لها خلاصة اثبتتها نصير الدين
الطوسي . نرى ، في هذه القصة ، ان قوى البدن تحاول جذب العقل اليها ،
وتسخيره لاشباع اميالها ، بينما هو ينزع الى عالم الروح ومشاهدة الله .
ويستمر النزاع بينهما الى ان يوافي الموت .

في السياسة :

- ١ - العهد : يعاهد المؤلف ربه على عمل الفضيلة، واجتناب الرذيلة.
- ٢ - الاخلاق : الكمال في العلم والفضيلة .
- ٣ - كتاب في السياسة : يبحث في سياسة الانسان نفسه ، وماله ، وزوجه ، وولده ، وخدمه .



في الفلسفة الدينية :

- ١ - اثبات النبوات ، وتأويل رموزهم وامثالهم .
- ٢ - رسالة في معنى الريادة : تستطيع النفس الصالحة، بعد الموت ، التأثير في هذا العالم ، وامداد من يزورها بالعون، شأنها في ذلك شأن العقل الفعال .
- ٣ - رسالة في ماهية الصلاة : الصلاة - ومثلها باقي الامور الشرعية - قسمان : جسماني ظاهر ، وروحاني باطن . فالجسماني تضرع الى فلك القمر ، لحفظ حياة البدن . والروحاني معرفة الله في الدنيا ، ومشاهدته في الآخرة .
- ٤ - رسالة في القدر : جدل مع متكلم ينكر القدر . يقول ابن سينا بالقدر ، انما يلطف من عدل الله في عقابه . الانشاء مستجع ، متكلف .
- ٥ - رسالة في دفع الغم من الموت : اهم اسباب الغم هي : الاعتقاد بفناء النفس ، والخوف من ألم الموت ، ومن عقاب الله . فتحرر من هذه الاسباب .



هذه اهم تأليف ابن سينا المطبوعة ، ركنها الفلسفي كتابان : الشفاء والاشارات . يمتاز الثاني بفصول اشراقية ، ويحوي الاثنان اصول ما جاء في اكثر باقي التأليف .

فلسفة

قسم ابن سينا الفلسفة الى نظرية غايتها الحق ، وعملية غايتها الحير .
 اما العلوم النظرية فثلاثة : الطبيعيات ، والرياضيات ، والالهيات .
 اقسام الطبيعيات هي : الكيان ، والساء والعالم ، والكون والفساد ،
 والآثار العلوية ، وكتاب المعادن ، وكتاب النبات ، وكتاب الحيوان ،
 وكتاب النفس والحس والمحسوس . ويتفرع عن الطبيعيات الطب ، والنجوم ،
 والفراسة ، وتعبير الرؤى . واقسام الرياضيات هي : العدد ، والمهندسة ،
 والهيئة ، والموسيقى . وتبحث الالهيات في الموجود ، ووجود الله ، وكائنات
 العالم ، ويتصل بها الوحي والمعاد .

واما العلوم العملية فثلاثة ايضاً : اخلاقية ، ومزلية ، ومدنية .
 اما المنطق فألة العلوم ، واقسامه هي : الایساغوجي ، والمقولات ،
 والعبارة ، والقياس ، والبرهان ، والجدل ، والمغالطات ، والخطابة ،
 والشعر .

وابن سينا قد بحث في هذه العلوم كلها تقريباً ، وتبع هذا التصميم
 في اهم كتبه .

على اننا لسنا نتقيد بتقسيمه ، ولا بترتيبه ، لان في هذه العلوم ما
 لم يعد يتصل بالفلسفة ، ولأننا نؤثر رد افكاره المختلفة الى بعض اصول
 جامعة . لهذا ، بعد لمحة في المنطق ، ندرس المسائل التالية : الله -
 الخلق - النفس - السياسة .

المظهر

عني ابن سينا بالمنطق ، فوضع فيه عدة تأليف . وهو ، رغم دعواه في مقدمة «منطق المشرقيين»^(١) ، لم يجدد شيئاً في الاصول ، ولم يتكرر منطقاً . انه تعرض ، في كتبه المنطقية ، للمعرفة من حيث هي تصور يكتسب بالحد ، وتصديق يكتسب بالقياس^(٢) .

ثم درس اللفظ المفرد - موضوع التصور - فقسمه الى جزئي وكلي ، وقسم الكلي الى خمسة : الجنس ، والنوع ، والفصل ، والخاص ، والعرض العام^(٣) .

(١) يقابل المشرقيين ، في استعمال ابن سينا ، اليونانيون . (انظر منطق المشرقيين : القاهرة ١٩١٠ ص ٣) . وكتاب المنطق هذا جزء من كتاب «الفلسفة المشرقية» . هذا الكتاب غير مطبوع ، ولكنه - على ما يبدو - لا يأتي بفلسفة جديدة ، شأنه شأن المنطق هذا .

(٢) المنطق صناعة نصم العقل من الضلال في المعرفة . والمعرفة اما تصورٌ لماهية ، كأن تصور العقل ما معنى انسان ، ويصل الى هذا بالحد ؛ واما تصديقٌ بقضية ، كأن يصدق بأن النفس خالدة ، ويصل الى هذا بالقياس . فبالمنطق اذاً يعرف الانسان شروط الحد الصحيح ، والقياس الصحيح ، فلا يضل في احدهما .

(٣) اللفظ الجزئي هو ما لا يكون معناه لاكثر من واحد ، كقولنا لبنان . والكلي هو ما دل على كثيرين ، كلفظ انسان . والكليات هي :

١ - الجنس : ذاتي مقول على كثيرين مختلفين بالانواع ، كلفظ حيوان فانه جنس للفرس والغزال والانسان ، لانه مقومٌ لماهية هذه الانواع ، مقولٌ عليها . والاجناس عشرة وهي المقولات : الجوهر ، والكم ، والاضافة ، والكيف ، والمكان ، والزمان ، والوضع ، والملك ، والفعل ، والانفعال .

٢ - النوع : ذاتي مقول على كثيرين ، كلفظ انسان الذي يطلق على كل انسان .

٣ - الفصل : ذاتي يقال على نوع تحت جنس ، ليفصل نوعاً عن نوع ، كقولنا ناطق للانسان ، فانه يفصله عن باقي انواع الحيوان . وحد الشيء يكون يجنسه وفصله القريب .

٤ - الخاص : عرضي مقول على نوع واحد ، كالضاحك للانسان .

٥ - العرض العام : عرضي مقول على انواع كثيرة ، كالبيض للتلج والياسمين .

ثم انتقل الى القضايا - موضوع التصديق - فعرض انواعها ، ثم
تطرق الى اشكال القياس ، فالى درجتها في اليقين : القياس البرهاني ،
والجدلي ، والخطائي ، والمغالطي ، والشعري^(١) .

(١) - القضية : قول فيه نسبة بين شيئين ، اولها موضوع والثاني محمول ،
كقولنا : النفس خالدة . واشكال القضايا كثيرة .

- القياس : قول مؤلف من اقوال ، اذا وضعت لزم عنها قول آخر ، مثل :
كل روجي خالد
والنفس روجية
فالنفس خالدة

يتألف هذا القياس من مقدمتين ، كبرى وصغرى ، ومن نتيجة . ويتركب من
طرفين ، اكبر واصغر ، ومن حد اوسط .

الحد الاوسط هو مشترك بين المقدمتين : « روجي » في القياس السابق .

والطرف الاكبر محمول النتيجة ، ومقدمته الكبرى : خالد .

والطرف الاصغر موضوع النتيجة ، ومقدمته الصغرى : النفس .

- القياس :

البرهاني : قياس مؤلف من مقدمات يقينية ينتج عنها يقين .

الجدلي : قياس مقدماته آراء مشهورة يقول بها الكل او الاكثرون ، اذا تأتى
الناظر فيها بداله امكان الخطأ فيها ، وتطرق الشك الى عقله ، كقولك : انصر
اخاك ظالماً او مظلوماً .

الخطائي : قياس مقدماته آراء ظنية ظناً غالباً يخطر على البال خطأها ، انما العقل
الى التصديق بها اميل ، كقولك : من ناجى العدو عدو .

والفرق بين مقدمات الخطائي والجدلي ان الاولى يخطر على البال خطأها عقواً ،
والثانية بعد تأتى في النظر .

الشعري : قياس مقدماته مخيلة ، لا تخاطب العقل ليصدق ، بل تخاطب الخيال
لتشعر النفس برغبة او نفور ، كتشبيها التهور بالشجاعة فترغب فيه النفس . وقد لا
تكون مقدمات القياس الشعري كاذبة .

المغالطي : هو قياس فاسد ، اما لان مقدماته كاذبة ، واما لأن شكله فاسد ،
او لغير ذلك .

- اشكال القياس كثيرة لا يسعنا هنا عرضها .

الله

ثبت مع ابن سينا وجود الله ، ثم نحدد طبيعته .

١ - وجود الله

يثبت ابن سينا وجود الله ببهانين :

١ - الله ، الواجب الوجود بذاته ، علة كل ممكن بذاته :

الواجب بذاته هو ما يجب له الوجود لذاته ، لا شيء آخر . والممكن بذاته هو ما لا يجب له الوجود لذاته ، ولا يمتنع ، بل يمكن ان يوجد وألا يوجد ، وان وجد فعن علة^(١) .

وعليه فأي موجود اما واجب بذاته ، واما ممكن بذاته . فان كان واجباً بذاته ، كان الواجب بذاته موجوداً ، وكان موجود غير معلول هو الله . وان كان ممكناً بذاته ، احتاج في وجوده الى علة ، والعلة الى علة ، وتنتهي السلسلة الى علة اولى غير معلولة هي واجبة بذاتها ، وهي الله .

انه لا يمكن ان تتسلسل العلل الممكنة الى ما لا نهاية له . وهبنا سلمنا بالقول - لا بالاعتقاد - تسلسلها ، فان جملتها الغير المنتهية ، وكلها معلول ، تحتاج الى علة خارجة عنها ، الى واجب بذاته : لا يمكن ان يتقوم واجب وجود من ممكنات وجود ، ان تكون جملة - كل أحادها معلولة - ، غير معلولة .

وانه لا يمكن ان تكون الممكنات علة بعضها لبعض على سبيل الدور ، كأن تكون (١) علة (ب) ، و (ب) علة (ج) ، و (ج) علة (١) ، فان (١) حينئذ تكون علة لعلتها ، اي لذاتها ، وهذا محال^(٢) .

(١) والممكن بذاته ، ان وضعت علته ، وجب بها ، كوجوب الاحتراق عند التقاء المحرق بالمحترق ، فيكون ممكناً بذاته ، واجباً بغيره .

واذاً كل موجود اما واجب ، واما ينتهي حتماً الى واجب ، فقد
صح وجود الواجب .

٢ - الله هو المحرك الاول غير المتحرك :

في الاجسام حركة ، ولكل حركة محرك . وينتهي المحركون والمتحركون
الى محرك اول غير متحرك . ويحرك الله العالم على سبيل الغاية كما يحرك
المعشوق عاشقه .

٢ - طبيعة الله

يستخلص ابن سينا صفات الله من وجوب وجوده ، وهذه اهمها :

١ - تأمله :

واجب الوجود تام ، ليس له وجود منتظر ، ولا ارادة ، ولا علم ،
ولا صفة من الصفات . ذاك انه لو كان ناقصاً من بعض الجهات ، قابلاً
لتحصيل كمال ، لكان ممكناً من هذه الجهة ، متعلقاً في امكانه هذا
بعلة . وواجب الوجود واجب من جميع جهاته ، لا امكان فيه مطلقاً ،
ولا تعلق له بعلة .

٢ - بساطته :

واجب الوجود بسيط ، لا تركيب فيه .
انه لو كان في الواجب تركيب ، لكان كل جزء فيه غير الاجزاء .
الاخرى ، وغير الكل . وعليه فان صح وجود الكل دون احد الاجزاء ،
كان هذا الجزء غير داخل في واجب الوجود ؛ وان لم يصح وجود الكل
دون احد الاجزاء ، كان الكل متعلقاً في وجوده بهذا الجزء ، غير واجب
الوجود ، وبطل الواجب .

٣ - وحدانيته :

واجب الوجود واحد ، لا شريك له . انه يستحيل وجود مثلين لا

يُتلفان بشيء ، ويستحيل وجود اختلاف بين واجبين . ذاك ان ما يُختلف به واجبان إما انه شرط في وجوب الوجود فهو لكليهما ، ويبطل الاختلاف ، واما ليس شرطاً فيه فهما واجبان دونه ، ويبطل الاختلاف ايضاً .

٤ - علمه بالجزئيات :

يعلم الواجب كل شيء ، لانه تام . ولكن كيف يعلم ؟
ان الواجب لا يعقل الاشياء من الاشياء ، والا لكان علمه معلولاً لها .

والواجب لا يعلم الاشياء عند حدوثها ، والا لحدث علمه معها ، وتغير بتغيرها .

ان الواجب يعقل ذاته ، سبب كل موجود ، فيعقل اوائل الموجودات عنه ، ثم كل ما يتولد عنها من الامور الجزئية . كل الموجودات معلولة ، بتسلسل ضروري ، عن الواجب ، وهي كذلك معلومة له علماً ازلياً^(١) .

(١) والواجب يعلم الامور الجزئية بنوع كلي ، او من حيث هي كلية ، اي من حيث يجوز حمل علمه بها على كثيرين امثالها . انه اذ يعلم كل الحركات السماوية ، مثلاً ، يعلم كل كسوف يحصل ، وزمان حصوله ، والمدة التي تفصله عن كسوف سابق او لاحق ، حتى لا يبقى عارض من عوارضه الا يعلمه . وهذا العلم « يجوز ان يحمل على كسوفات كثيرة كل واحد منها نكون حاله تلك الحال . » (النجاة : ٤٠٥-٤٠٦) . انما لا يعلم الله هذا الكسوف او ذاك ، حين حدوثه ، وفي عوارضه الحسية المميزة له عن اي كسوف آخر ، لان هذا علم زمني لا ازلي ، ومن شأن الحس لا من شأن العقل . « ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي » فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض » (النجاة ص ٤٠٤) .

علم العالم

اثبتنا مع ابن سينا وجود الله على انه علة الممكنات ومحركها .
وزي الان خالق الواجب الممكن ، فندرس كيفية الخلق ، وزمانه ،
وسببه او غايته .

١ - كيفية الخلق : نظرية الفيض

اثبت ابن سينا ان الواجب واحد : واحد لا شريك له ، وواحد
لا تركيب فيه اي بسيط .
ثم قال بهذا المبدأ : « ان الواحد » من حيث هو واحد ، انما يوجد
عنه واحد .^(١)

فنشأ عن ذلك مشكل : كيف صدرت الكثرة عن الوحدة ،
والتركيب عن البساطة ؟ كيف صدر هذا العالم الكثير الموجودات ،
المركب من اجزاء ، عن الواجب الواحد البسيط ؟
ان ابن سينا ، حل هذه المشكلة ، بسط نظرية في الخلق تُعرف
بنظرية الفيض ، هذه خلاصتها :

ان الواجب الوجود علم نفسه مبدأ لنظام الخير في الوجود ، وان كماله
وعلوّه في ان يفيض عنه هذا الخير .

وان الواجب — ومثله العقول المفارقة — لا يحتاج مثلنا في اليجاد ما
يعلم الى قدرة وارادة وفعل ، بل علمه هو قدرة وارادة ويجاد ، فعن علمه
للوجود فاض الوجود على ما يعلمه .

واول ما فاض عن علم الواجب عقل . هذا العقل واحد بسيط ،
لانه صدر عن الواجب الواحد البسيط ، ولكنه ليس واحداً من كل

جهاته ، ولا بسيطاً من كل نواحيه . هذا العقل ممكن الوجود بذاته ، واجب الوجود بالواجب ، وهو يعلم امكانه بذاته ، ووجوبه بالاول ، ويعلم الاول . فكان في هذا نوع من الكثرة . على ان هذه الكثرة ليست له من الواجب ، فان امكان وجوده امر له من ذاته ، لا من الواجب ، وان علمه ذاته وعلمه الواجب كثرة لازمة لوجوده مع الواجب . وليس ما يمنع ان يكون عن علة واحدة معلول واحد ، ثم يتبعه كثرة اضافية .

هذا العقل المفارق يعلم الاول فيفيض عنه عقل ثانٍ . ويعلم نفسه كمكانه بذاته فتصدر عنه مادة الفلك الاقصى ، ويعلم نفسه كواجب بالاول فتفيض عنه نفس الفلك الاقصى .

ثم يتوالى الفيض ، فيصدر عن كل عقل ، بحكم التثليث في علمه ، عقل وفلك . تصدر عقول عشرة آخرها العقل الفعّال ، وتصدر افلاك تسعة آخرها فلك القمر .

لا يصدر عن العقل الفعّال عقل وفلك ، كما صدر عن العقول السابقة ، لان هذه العقول غير متفقة الانواع . ولكن يصدر عنه — بوساطة الافلاك — عالم ما تحت القمر ، عالمنا الارضي هذا ، عالم الكون والفساد . كل اجسام الارض تتكوّن من مبدئين ، من هيولى واحدة في كل الاجسام ، ومن صورة تختلف من جسم الى جسم . تفيض الهيولى عن العقل الفعّال ، وتحت تأثير حر كات الافلاك تحدث فيها استعدادات مختلفة ، فتفيض عليها من العقل الفعّال — واهب الصور — صور ملائمة .

واول ما يحدث الاسطقسات الاربعة : الماء والهواء والتراب والنار .

(١) هذه الافلاك هي : الفلك الاقصى ، وفلك الكواكب الثابتة ، وفلك زحل ، وفلك المشتري ، وفلك المريخ ، وفلك الشمس ، وفلك الزهرة ، وفلك عطارد ، وفلك القمر .

ثم يحدث عن هذه العناصر امتزاجات ، ويجد في الامتزاجات استعدادات ، فتفيض عليها صور وتتكون اجسام . وتترج العناصر ، او بعضها ، بالاجسام الجديدة ، او تترج الاجسام الجديدة بعضها مع بعض ، فتحدث استعدادات جديدة ، وتفيض صور ملائمة ، وتتكون تدريجياً المعادن ، ثم النبات ، ثم الحيوان ، ثم الانسان .

وكلما جد في مزاج استعداد ، تبدلت عليه صورة ، وتوالى في عالمنا الكون والفساد^(١) .

بدأ الخلق بالعقل ، وانتهى بالانسان العاقل ، بدأ بأشرف الجواهر السماوية ، وانتهى بأشرف الموجودات الارضية . والانسان هو العالم الاصغر يشارك بقواه النبات والحيوان والعقول .



نفوس الافلاك والعقول المفارقة ملائكة الله ، والعقل الفعال هو الملك جبريل .

الافلاك تتحرك شوقاً الى عقولها ، والى واجب الوجود المعشوق العام



نظرية الفيض هذه نظرية فاسدة ، في نظرنا ، من نواح عديدة اهمها :
 ١ - غير صحيح انه عن الواحد لا يصدر الا واحد : الذي يوجد الواحد يوجد الكثير ، والذي يوجد البسيط يوجد المركب . ان قدرة الله اللامتناهية لا يشوبها ضعف او كلل ، فهي في ايجاد الكثير نفسها في ايجاد الواحد . وان البسيط اكل من المركب ، فالذي يستطيع الاكثر يستطيع الاقل .
 ٢ - غير صحيح ان علم الله — والعقول المفارقة — ايجاد : لا يكفي ان يعلم الله ، بل يجب ان يريد ويفعل . اما العقول المفارقة فلا شأن لها في الخلق .

(١) مادة الافلاك لا تفسد ، لانها طبيعة خامسة غير طبيعة الاسطقسات .

٣ - غير صحيح ان العالم صدر عن الله ضرورة : ان الله حرّ في ان يخلق ، وفي ان يخلق هذا العالم او غيره .

٤ - استعمال لفظ الفيض - بدل لفظ الخلق - يوهم ان العالم شي من الله ، فالاقلاع عنه افضل .

٢ - زمان الخلق : قدم العالم

القديم اما بالذات وهو ما ليس له علة ، واما بالزمان وهو ما ليس لزمانه اول . والحادث هو ما لوجوده علة ، ولزمانه اول .

اما العالم ، في نظر ابن سينا ، فقديم بالزمان ، حادث بالذات معلول لله .

ويستحيل حدوث العالم ، في نظر ابن سينا ، لاسباب منها :

اولاً : لاستحالة التغير في الله :

اذا لم يكن العالم ، ثم كان ، فقد حدث في الواجب ، علية « قصد او ارادة ، او طبع ، او قدرة وتمكن ، او شي . مما يشبه هذا لم يكن . »^(١) وكل هذا محال لانه تغير في الواجب . فالعالم اذا قديم .

ثانياً : لاستحالة الايثار بين الاوقات المتماثلة :

الاوقات كلها متماثلة بالنسبة الى الخلق ، لا وقت اول من وقت .

والارادة لا تستطيع ، في نظر ابن سينا ، ايثار مثل على مثل .

اذاً لا يستطيع الله - ان لم يخلق في القدم - ان يخلق وقتاً آخر يخلق فيه .

فالخلق اذا تم في القدم .

٣ - غاية الخلق - معضلة الشر

لم يرد الله العالم ، اي لم يخلقه لغاية ، والا لكان متأثراً بهذه الغاية ، معلولاً لها .

فاض العالم عن علم الله : ذات الله هي - لذاتها ، لا شيء آخر -
علة نظام الخير في الوجود . فعلم الله ذاته تتمثل لهذا النظام على اكل وجه
ممکن ، ففيض احسن عالم ممكن عن هذا التمثيل .

•

ولكن كيف يكون هذا العالم احسن عالم ممكن ، ويكون ما
نجد فيه من شر ؟

حل هذه المعضلة ، اقر ابن سينا القضايا التالية :

١ - الشر محصور على العالم ما تحت القمر ، على ارضنا هذه ، وارضنا
جزء يسير بالقياس الى سائر الوجود .

٢ - الشر يصيب اشخاصاً - وفي بعض الاوقات - اما الانواع فمحفوظة .

٣ - الخير اكثر من الشر - وان كان الشر كثيراً - ولا شيء
يغلب شره على خيره او يساويه .

٤ - الخير مقصود بالذات ، والشر بالعرض : ان المقصود بالذات من
الاحراق في النار ، مثلاً ، هو الخير ، اما بالعرض فتحرق عضو ناسك او
رداء شريف . وانه لم يكن ممكناً ان يعدم الشر بالعرض الا اذا عدم
ما يصدر عنه هذا الشر ، وعُدمت الاسباب السببية لعالم المادة ، وفي
هذا خلل عظيم لنظام الخير . ان ملاشاة اسباب الشر الاقل ملاشاة لما
يصدر عن هذه الاسباب من خير اكثر . وليس من الحكمة الالهية ان
تترك الخيرات الدائمة والاكثرية لاجل شرور في امور شخصية غير دائمة .

مختارات

نُتِبَتْ فِي هَذَا الْجُزْءِ النُّصُوصُ التَّالِيَةُ :

- ١ - اقسام العلوم .
- ٢ - المنطق (مختارات) .
- ٣ - في وجود الله : معاني الواجب والممكن - لا تتسلسل الممكنات الى غير نهاية - العلة الاولى - كل سلسلة تنتهي الى واجب - المحرك الاول .
- ٤ - في صفات الله : الواجب تام - الواجب بسيط - الواجب واحد - الواجب عالم بالاشياء - الواجب عالم .
- ٥ - في الفيض : المعلول الاول واحد بسيط - كيفية الفيض - الانسان عالم اصغر - رضى الاول بالفيض .
- ٦ - في قدم العالم : ما الحادث والقديم ؟ - حدوث العالم تغير في الواجب - لا وقت اولى من وقت .
- ٧ - الواجب غني جواد .
- ٨ - العناية والشر .

افسام العلوم

ان العلوم كثيرة ، والشهوات لها مختلفة ، ولكنه تنقسم ، اول ما تنقسم ، قسمين :

علوم لا يصلح ان تجري احكامها الدهر كله ، بل في طائفة من الزمان ، ثم تسقط بعدها . او تكون مغفولاً عن الحاجة اليها باعيانها برهة من الدهر ، ثم يدل عليها من بعد .

وعالوم متساوية النسب الى جميع اجزاء الدهر . وهذه العلوم اولى العلوم بان تسمى حكمة . وهذه منها اصول ، ومنها توابع وفروع . وغرضنا ها هنا هو في الاصول ، وهذه التي سمينها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة ، وعلوم جزئية تنسب الى التنجيم ، وصنائع اخرى لا حاجة بنا الى ذكرها .



وتنقسم العلوم الاصلية الى قسمين ايضاً : فان العلم لا يخلو اما ان يتنفع به في امور العالم الموجودة ، وما هو قبل العالم ، ولا يكون قصارى طالبه ان يتعلمه حتى يصير آلة لعقله يتوصل بها الى علوم هي : علوم امور العالم وما قبله . واما ان يتنفع به من حيث يصير آلة لطالبه في ما يروم تحصيله من العلم بالامور الموجودة في العالم وقبله .

والعلم الذي يطلب ليكون آلة ، قد جرت العادة في هذا الزمان ،

وفي هذه البلدان ، ان يستمى علم المنطق . ولعل له عند قوم آخرين اسماً آخر ، لكننا نؤثر ان نسميه الآن بهذا الاسم المشهور . وانما يكون هذا العلم آلة في سائر العلوم ، لانه يكون علماً منبهاً على الاصول التي يحتاج اليها كل من يقتنص المجهول من المعلوم باستعمال المعلوم على نحو وجهة ، يكون ذلك النحو وتلك الجهة مؤدياً بالباحث الى الاحاطة بالمجهول . فيكون هذا العلم مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم الى المجهول . وكذلك يكون مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تضل الذهن ، وتوهمه استقامة مأخذ نحو المطلوب من المجهول ، ولا يكون كذلك . فهذا هو احد قسمي العلوم .

واما القسم الآخر فهو ينقسم ايضاً ، اول ما ينقسم ، قسمين : لانه اما ان تكون الغاية في العلم تركيبة النفس مما يحصل لها من صورة المعلوم فقط ، واما ان تكون الغاية ليس ذاك فقط ، بل وان يعمل الشيء الذي انتقشت صورته في النفس . فيكون الاول تتعاطى به الموجودات ، لا من حيث هي افعالنا واحوالنا ، لنعرف اصوب وجوه وقوعها منا ، وصدورها عنا ، ووجودها فينا ، والثاني يلتفت فيه لفت موجودات هي افعالنا واحوالنا ، لنعرف اصوب وجوه وقوعها منا ، وصدورها عنا ، ووجودها فينا .

والمشهود من اهل الزمان أنهم يسمون الاول علماً نظرياً ، لأن غايته القصوى نظر . ويسمون الثاني منها عملياً ، لان غايته عمل^(١) .

(١) ثم يتطرق الى تقسيم العلم النظري والعملي ، على نحو ما ورد في الدراسة .

اللفظ

١ - غاية المنطق

كل معرفة وعلم فاما تصور ، واما تصديق . والتصور هو العلم الاول ويكتسب بالحد ، وما يجري مجراه ، مثل تصورنا ماهية الانسان . والتصديق انما يكتسب بالقياس ، او ما يجري مجراه ، مثل تصديقنا بان لكل مبدأ . فالحد والقياس آلتان بهما تكتسب المعلومات ، التي تكون مجهولة ، فتصير معلومة ...

فالمنطق هو الصناعة النظرية التي تعرف انه من اي الصور والمواد يكون الحد الصحيح ، الذي يسمى بالحقيقة حدًا ، والقياس الصحيح الذي يسمى بالحقيقة برهانًا .

(النجاة : ص ٣ - ٥)

٢ - الكلي والجزئي

اللفظ المفرد الكلي هو الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق : اما كثيرين في الوجود كالانسان ، او كثيرين في جواز التوهم كالشمس . وبالجملة الكلي هو اللفظ الذي لا يمنع مفهومه ان يشترك في معناه كثيرون . فان منع من ذلك شي . فهو غير نفس مفهومه .

واللفظ المفرد الجزئي هو الذي لا يمكن ان يكون معناه الواحد ، لا بالوجود ولا بحسب التوهم ، لاشياء فوق واحد ، بل يمنع نفس مفهومه من ذلك ، كقولنا زيد لمشار اليه ، فان معنى زيد ، اذا اخذ معنى واحداً هو ذات زيد الواحد ، فهو لا في الوجود ولا في التوهم يمكن ان يكون لغير ذات زيد الواحدة ، اذ الاشارة تمنع من ذلك .

(النجاة : ص ٨)

٣ - الذاتي والعرضي

كل كلي فاما ذاتي ، واما عرضي .
والذاتي هو الذي يقوم ماهية ما يقال عليه ...
واما العرضي فهو ... مما ليس بذاتي .
(النجاة : ص ٩-١٠)

٤ - الالفاظ الخمسة

الالفاظ الكلية خمسة : جنس ، ونوع ، وفصل ، وخاصة ، وعرض عام .
الجنس هو المقول على كثيرين مختلفين بالانواع في جواب ما هو ...
واما النوع فهو الكلي الذاتي الذي يقال على كثيرين ...
واما الفصل فهو الكلي الذاتي الذي يقال على نوع تحت جنس ...
كالناطق للانسان ...
واما الخاصة فهي الكلي الدال على نوع واحد ... مثل الضاحك
للانسان ...
واما العرض العام فهو كل كلي مفرد عرضي ، أي غير ذاتي ،
يشترك في معناه انواع كثيرين ، كالبياض للثلج والقنص^١ .
(النجاة : ١٢-١٥)

٥ - المحمول والموضوع

المحمول هو المحكوم به انه موجود ، او ليس بموجود ، لشيء آخر .
والموضوع هو الذي يحكم عليه بان شيئاً آخر موجود له ، او ليس
بموجود له .
مثال الموضوع قولنا « زيد » من قولنا : زيد كاتب . ومثال المحمول
قولنا « كاتب » من قولنا : زيد كاتب .
(النجاة : ١٩)

(١) القنص : طير ماء ابيض .

٦ - المقدمة

المقدمة قول يوجب شيئاً لشيء ، او يسلب شيئاً عن شيء ، جعلت جزء قياس .

(النجاة : ٣٣)

٧ - القياس

القياس قول مؤلف من اقوال ، اذا وضعت ، لزم عنها بذاتها ، لا بالعرض ، قول آخر غيرها اضطراراً .

(النجاة : ٤٧)

٨ - قياس الخلف

قياس الخلف هو الذي تبين فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه ... مثاله ... : ان لم يكن كل (ا ب) ، فليس كل (ا ج) . لكن كل (ا ج) ، وهو نقيض التالي . ينتج نقيض المقدم ، وهو ان كل (ا ب) . (النجاة : ٨٥-٨٦)

٩ - الاستقراء

الاستقراء هو حكم على كلي ، لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، اما كلها وهو الاستقراء التام ، واما اكثرها وهو الاستقراء المشهور ، فكأنه يحكم بالاكبر على الواسطة لوجود الاكبر في الاصغر . ومثاله : ان كل حيوان طويل العمر فهو قليل المראה ، لان كل حيوان طويل العمر فهو مثل انسان او فرس او ثور ، والانسان والفرس والثور قليل المראה . (النجاة : ٩٠)

١٠ - الاوليات

الاوليات هي قضايا ومقدمات تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية ، من غير سبب يوجب التصديق بها الا ذواتها ، والمعنى الجاعل لها

قضية ، وهو القوة المفكرة الجامعة بين البسائط على سبيل الجواب او سلب . فاذا حدثت البسائط من المعاني بمعونة الحس والخيال ، او بوجه آخر في الانسان ، ثم القتها المفكرة الجامعة ، وجب ان يصدق بها الذهن ابتداء . بلا علة اخرى ، ومن غير ان يشعر ان هذا مما استفيد في الحال ، بل يظن الانسان انه دائماً كان عالماً به ، ومن غير ان تكون الفطرة الوهمية تستدعي اليها ، على نحو ما بيناه . ومثال ذلك : ان الكل اعظم من الجزء ، وهذا غير مستفاد من حس ، ولا استقراء ، ولا شيء آخر . نعم قد يمكن ان يفيد الحس تصوراً للكل ، وللأعظم ، وللجزء ، واما التصديق بهذه القضية فهو من جبلته .

(النجاة : ١٠٠-١٠١)

١١ - البرهان

البرهان قياس مؤلف من يقينيات لانتاج يقيني .
(النجاة : ١٠٣)

١٢ - تعاون العلوم

تعاون العلوم هو ان يؤخذ ما هو مسألة في علم مقدمة في علم آخر ، فالعلم الذي فيه المسألة معين للعلم الذي فيه المقدمة . وهذا على وجوه ثلاثة : احدها ان يكون احد العلمين تحت الآخر ، فيستفيد العلم السافل مبادئه من العالي ، مثل الموسيقى من العدد ، والطب من الطبيعي ، والعلوم كلها من الفلسفة الاولى .

واما ان يكون العلمان متشاركين في الموضوع ، كالطبيعي والنجمي في جرم الكل ، فأحدهما ينظر في جوهر الموضوع كالطبيعي ، والآخر ينظر في عوارضه كالنجمي ، فان الناظر في جوهر الموضوع يفيد الآخر المبادئ مثل استفادة المنجم من الطبيعي ان الحركة الفلكية يجب ان تكون مستديرة .

واما ان يكون العلمان متشاركين في الجنس ، واحدهما ينظر في نوع بسيط كالحساب ، والآخر في نوع اكثر تركيباً كالمهندسة . فان الناظر في الابطسط يفيد الآخر مبادئ ، كما يفيد العدد المهندسة .
(النجاة : ١١٥-١١٦)

١٣ - الاجناس العشرة

واما . . . الاجناس العشرة فنها :
الجوهر ، وهو كل ما وجود ذاته ليس في موضوع ، اي في محل قريب قد قام بنفسه دونه بالفعل ، لا بتقويته .
ومنها الكم ، وهو الشيء الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزئي ، وهو اما ان يكون متصلاً اذ يوجد لاجزائه بالقوة حد مشترك تتلاقى عنده ، وتتحد به ، كالنقطة للخط ، واما ان يكون منفصلاً اذ لا يوجد لاجزائه ذلك بالقوة ، ولا بالفعل ، كالعدد . . .
ومن المقولات العشر الاضافة ، وهو المعنى الذي وجوده بالقياس الى شيء آخر ، وليس له وجود غيره ، مثل الابوة بالقياس الى البنوة ، لا كالأب فان له وجوداً يخصه . . .
واما الكيف فهو كل هيئة قارة في جسم ، لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة للجسم الى خارج ، ولا نسبة واقعة في اجزائه ، ولا لجملة اعتبار يكون به ذا جزء ، مثل البياض والسواد . . .
ومن جملة العشرة الاين ، وهو كون الجوهر في مكانه الذي يكون فيه ، ككون زيد في السوق .
ومتى ، وهو كون الجوهر في زمانه الذي يكون فيه ، مثل كون هذا الامر امس .
والوضع وهو كون الجسم بحيث تكون لاجزائه بعضها الى بعض نسبة في الانحراف والموازاة ، بالقياس الى الجهات واجزاء المكان ، ان

كان في مكان ، مثل القيام والعقود ...
والملك ...

والفعل ، وهو نسبة الجوهر الى امر موجود منه ، غير قار الذات ،
بل لا يزال يتجدد ويتصرم ، كالسخين والتبريد .
والانفعال ، وهو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة ، مثل التقطع
واللتسخن .

(النجاة : ١٢٦ - ١١٨)

١٤ - اقسام العلل

يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة ، مثل النجار للكروسي ، والاب للصبي .
ويقال علة للمادة ، وما يحتاج الشيء الى ان يكون حتى يقبل ماهيته ،
مثل الخشب ...

ويقال علة للصورة ، وكل شيء مكوّن ، فانه ما لم تقتزن الصورة
بالمادة لم يتكون الشيء .

ويقال علة للغاية ، والشيء الذي لاجله الشيء ، مثل الكنّ للبيت .
(النجاة : ١٣١)

١٥ - شرح الفاظ

الظن الحق هو رأي في شيء انه كذا ، ويمكن ان لا يكون كذا .
والعلم اعتقاد بان الشيء كذا ، وانه لا يمكن ان لا يكون كذا ...
والذهن قوة للنفس معدة نحو اكتساب العلم .
والذكاء قوة استعداد للحدس .

والحدس حركة الى اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب ، او
اصابة الحد الاكبر اذا أصيب الاوسط ، وبالمجلة سرعة الانتقال من معلوم
الى مجهول ، كمن يرى تشكّل استنارة القمر عند احوال قربه وبعده عن
الشمس ، فيحدس انه يستدير من الشمس .
(النجاة : ١٣٧)

الحمد

لابن سينا ارجوزة في المنطق ، نقتطف منها ما يتصل بالحد :

والعلم منه ما هو التصور	ومنه تصديق لشيء ، يُحِبُّ
ويحصل التصديق بالقياس	وقد شرحناه بلا التباس
والحد منه يحصل التصور	والرسم ايضاً منه فيه اثر
اذا اردت ان تحدّ حدا	فرتب الجنس القريب جدا
فانه يحصر كلّ ذاتي	يكون للمحدود في الصفات
ثم اطلب الفصول فهي الحادّة	من صورة اخذتها او مادّة
او فاعل او غاية للشيء	كالنطق للانسان بعد الحيّ

... .

هذا واما الرسم فهو قول	تميّز ، وليس فيه فصل
بل عرض كقولنا للبشر	في رسمه : حيّ عريض الظفر
منتصب القامة بادي الجلد	والجنس في الرسم كما في الحدّ
اذا اريد الرسم رسماً كاملاً	وكل قول لم يكن مشاكلاً
كما حددناه فحد ناقص	او هو رسم ناقص لا خالص .

معاني الواجب والممكن

ان الواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال . وان الممكن الوجود هو الذي متى فرض غير موجود ، او موجوداً ، لم يعرض منه محال . والواجب الوجود هو الضروري الوجود ، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه ، اي لا في وجوده ولا في عدمه . فهذا هو الذي نعنيه في هذا الموضوع بممكن الوجود

ثم ان الواجب الوجود قد يكون واجباً بذاته ، وقد لا يكون بذاته .
 اما الذي هو واجب الوجود بذاته فهو الذي لذاته ، لا لشيء آخر اي
 شيء كان ، لزم محال من فرض عدمه . واما الواجب الوجود لا بذاته
 فهو الذي لو وضع شيء مما ليس هو صار واجب الوجود ، مثلاً ان
 الاربعة واجبة الوجود ، لا بذاتها ، ولكن عند فرض اثنين واثنين ؛
 والاحتراق واجب الوجود ، لا بذاته ، ولكن عند فرض التقاء القوة
 الفاعلة بالطبع والقوة المنفصلة بالطبع ، اعني المحرقة والمحترقة .
 (النجاة : ٣٦٦-٣٦٧)

وجود الواجب

١ - لا تتسلل الممكنات الى غير نهاية

لا شك ان هنا وجوداً . وكل وجود فاما واجب ، واما ممكن .
 فان كان واجباً ، فقد صح وجود الواجب ، وهو المطلوب . وان كان
 ممكناً ، فانا نوضح ان الممكن ينتهي وجوده الى واجب الوجود .
 وقبل ذلك ، فانا نقدم مقدمات : فن ذلك انه : لا يمكن ان
 يكون ، في زمان واحد ، لكل ممكن بالذات عللٌ ممكنة الذات بلا
 نهاية . وذلك لان جميعها اما ان يكون موجوداً معاً ، واما ان لا يكون
 موجوداً معاً . فان ... يكن ... موجوداً معاً - ولا واجب وجود فيه -
 فلا يلزم : اما ان تكون الجملة ، بما هي تلك الجملة ، سواء كانت متناهية
 او غير متناهية ، واجبة الوجود بذاتها ، او ممكنة الوجود . فان كانت
 واجبة الوجود بذاتها ، وكل واحد منها ممكن ، يكون الواجب الوجود
 متقوماً بممكنات الوجود : هذا خلف . وان كانت ممكنة الوجود بذاتها ،

فالجملة محتاجة في الوجود الى مفيد الوجود... فقد انتهت الممكنات الى
علة واجبة الوجود ، فليس لكل ممكن علة ممكنة بلا نهاية .
(النجاة : ٣٨٣-٣٨٤)

٢ - العلة الاولى

اذا فرضنا معلولاً ، وفرضنا له علة ، ولعلته علة ، فليس يمكن ان
يكون لكل علة علة بغير نهاية ، لان المعلول ، وعلته ، وعلة علته ، اذا
اعتبرت مجتمعة في القياس الذي لبعضها الى بعض ، كان علة العلة علة اولى
مطلقة للامرين ، وكان للامرين نسبة المعلولة اليها ، وان اختلفا في ان
احدهما معلول بتوسط ، والاخر معلول بغير متوسط . ولم يكن كذلك
الاخير ، ولا المتوسط : لان المتوسط ، الذي هو العلة المماسمة للمعلول ، علة
لشيء واحد فقط ، والمعلول ليس العلة لشيء .

وكان لكل واحد من الثلاثة خاصيته . فكانت خاصية الطرف
المعلول أنه ليس علة لشيء ، وخاصية الطرف الآخر أنه علة لكل غيره ،
وكانت خاصية المتوسط انه علة لطرف ومعلول لطرف . وسواء كان
الوسط واحداً ، او فوق واحد . فان كان فوق واحد ، فسواء ترتب
ترتباً متناهياً ، او ترتب ترتباً غير متناهي . فانه ان ترتب في كثرة متناهية ،
كانت جملة عدد ما بين الطرفين ، كواسطة واحدة ، تشترك في خاصية
الواسطة بالقياس الى الطرفين ، فيكون لكل واحد من الطرفين خاصية .
وكذلك ان ترتب في كثرة غير متناهية ، فلم يحصل الطرف ، كان جميع
الغير المتناهي في خاصية الواسطة ، لانك اي جملة اخذت كانت علة لوجود
المعلول الاخير ، وكانت معلولة ، اذ كل واحد منها معلول ...

فليس يجوز اذن ان يكون جملة علل موجودة ، وليس فيها علة غير
معلولة ، وعلة اولى ، فان جميع الغير المتناهي يكون واسطة بلا طرف
وهذا محال ...

على ان قول القائل ان ههنا طرفين ووسائط بغير نهاية قولٌ يقوله
 باللسان ، دون الاعتقاد ، لانه اذا كان له طرف فهو متناهٍ في نفسه ...
 فقد تبين من جميع هذه الاقاويل ان ههنا علة اولى ، فانه وان كان
 ما بين الطرفين غير متناهٍ ووجد الطرف ، فهو الطرف الاول لما لا
 يتناهى ، وهو علة غير معلولة .

(الشفاء : ١ - ٥٦٧ - ٥٦٨)

٣ - كل سلسلة تنتهي الى واجب

كل موجود ، اذا التفت الى من حيث ذاته من غير التفات الى غيره ،
 فاما ان يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه ، او لا يكون .
 فان وجب فهو الحلق بذاته ، الواجب وجوده من ذاته ، وهو القيوم .
 وان لم يجب ، لم يُجزَّ ان يقال انه ممتنع بذاته بعدما فرض موجوداً .
 بل ان قُرِن ، باعتبار ذاته ، شرط مثل شرط عدم علته صار ممتنعاً ، او
 مثل شرط وجود علته صار واجباً . واما ان لم يُقرن بها شرط ، لا
 حصول علة ولا عدمها ، بقي له في ذاته الامر الثالث ، وهو الامكان ،
 فيكون ، باعتبار ذاته ، الشيء الذي لا يجب ولا يمتنع .
 فكل موجود اما واجب الوجود بذاته ، واما ممكن الوجود بحسب ذاته .



ما حقه في نفسه الامكان فليس يصير موجوداً من ذاته ، فانه ليس
 وجوده من ذاته اولى من عدمه ، من حيث هو ممكن . فان صار احدهما
 اولى فلحضور شيء او غيابه . فوجود كل ممكن الوجود هو من غيره .



اما ان يتسلسل ذلك الى غير النهاية ، فيكون كل واحد من اُحاد
 السلسلة ممكناً في ذاته ، والجملة متعلقة بها ، فتكون غير واجبة ايضاً ،
 وتجب بغيرها .

ولتزد هذا بياناً : كل جملة ، كل واحد منها معلول ، فانها تقتضي
 علة خارجية عن آحادها . وذلك لانها اما ان لا تقتضي علةً أصلاً ،
 فتكون واجبة غير معلولة ، وكيف يتأتى هذا ، وانما تجب بآحادها ؟ واما
 ان تقتضي علة هي الآحاد بأسرها ، فتكون معلولة لذاتها ... واما ان
 تقتضي علة هي بعض الآحاد ، وليس بعض الآحاد اولى بذلك من بعض ،
 اذ كان كل واحد منها معلولاً ، لان علة اولى بذلك . واما ان تقتضي علة
 خارجية عن الآحاد كلها ، وهو الباقي ...

كل جملة مرتبة من علل ومعلولات على الولاء ، وفيها علة غير معلولة ،
 فهي طرف ، لانها ان كانت وسطاً فهي غير معلولة .

كل سلسلة مرتبة من علل ومعلولات ، كانت متناهية او غير متناهية ،
 فقد ظهر انها ، اذا لم يكن فيها الا معلول ، احتاجت الى علة خارجية
 عنها ، لكنها تتصل بها لا محالة طرفاً ، وظهر انه ان كان فيها ما ليس
 بمعلول فهو طرف ونهاية . فكل سلسلة تنتهي الى واجب الوجود بذاته .
 (الاشارات : ١٣٠-١٣٢)

٦- المحرك الاول

الحركة كمالٌ أول لما بالقوة ، من حيث هو بالقوة ، وهو كون الشيء
 على حال لم تكن قبله ولا بعده . وتسمى تلك الحال أيناً ، او كيفاً ،
 او كمّاً ، او وضعاً ...

الحركة التي من كم الى كم تسمى حركة نموٍ او تخلخل ان كان الى
 الزيادة ، وتسمى حركة ذبولٍ او تكاثف ان كان الى النقصان ...
 الحركة التي من كيف الى كيف تسمى استحالة ، مثل الابيضاض
 والاسوداد .

الحركة التي من اين الى اين تسمى نقلة .
 الحركة التي من وضع الى وضع تسمى وضعية ...

كل حركة تصدر عن محرك في متحرك ، فهي بالقياس الى ما فيه
تحرك ، وبالقياس الى ما عنه تحريك .

كل محرك فاما ان يكون قوة في جسم ، واما ان يكون شيئاً
خارجاً ، ويحرك بمحركته في نفسه ، مثل الذي يحرك باللمسة . وينتهي
المحركون والمتحركون ، في كل ترتيب ، الى محرك غير متحرك ، لاستحالة
توالي الاجسام متحركة بحركة بعضها لبعض الى ما لا نهاية له .
(الطبيعيات من عيون الحكمة)

الواجب نام

ان واجب الوجود بذاته واجب الوجود بجميع جهاته ، والا فان كان
من جهة واجب الوجود ، ومن جهة ممكن الوجود ، فكانت تلك الجهة
تكون له ولا تكون له — ولا تخلو عن ذلك — وكلُّ منهما^١ بعلقة يتعلق
الامرُ بها ضرورة ، فكانت ذاته متعلقة الوجود بعليّ امرين لا يخلو
منهما ، فلم يكن واجب الوجود بذاته مطلقاً ، بل مع العليّين ، سواء كان
احدهما وجوداً والآخر عدماً ، او كان كلاهما وجوديين . فبين من هذا
ان الواجب الوجود لا يتأخر عن وجوده وجودٌ منتظر ، بل كل ما هو
ممكن له فهو واجب له ، فلا له ارادة منتظرة ، ولا طبيعة منتظرة ،
ولا علم منتظر ، ولا صفة من الصفات التي تكون لذاته منتظرة .
(النجاة : ص ٣٧٢)

الواجب بسيط

ان واجب الوجود لا يجوز ان يكون لذاته مبادئٌ تجتمع فيقوم
منها واجب الوجود ، لا اجزاء الكمية ، ولا اجزاء الحد والقول ، سواء

(١) اي كون ما هو ممكن فيه او عدم كونه .

كانت كالمادة والصورة ، او كانت على وجه آخر بان تكون اجزاء القول
 الشارح لمعنى اسمه ، فيدل كل واحد منها على شيء هو في الوجود غير
 الآخر بذاته . وذلك لان كل ما هذا صفته فذات كل جزء منه ليس
 هو ذات الآخر ، ولا ذات المجتمع . فاما ان يصح لكل واحد من
 جزئيه مثلاً وجود منفرد ، لكنه لا يصح للمجتمع وجود دونها ، فلا
 يكون المجتمع واجب الوجود . او يصح ذلك لبعضها ، ولكنه لا يصح
 للمجتمع وجود دونه ، فما لم يصح له من المجتمع والاجزاء الاخرى وجود
 منفرد فليس واجب الوجود ، ولم يكن واجب الوجود الا الذي يصح
 له . وان كان لا يصح لتلك الاجزاء مفارقة الجملة في الوجود ، ولا للجملة
 مفارقة الاجزاء ، وتعلق وجود كل بالآخر ، وليس واحد اقدم بالذات ،
 فليس شيء منها بواجب الوجود (فقد اوضحت هذا على ان الاجزاء
 بالذات اقدم من الكل) فتكون العلة الموجبة للوجود توجب اولاً الاجزاء
 ثم الكل ، ولا يكون شيء منها واجب الوجود . وليس يمكننا ان نقول
 ان الكل اقدم بالذات من الاجزاء ، فهو اما متأخر ، واما معاً ، وكيف
 كان فليس بواجب الوجود .

فقد اتضح من هذا ان واجب الوجود ليس بجسم ، ولا مادة جسم ،
 ولا صورة جسم ، ولا مادة معقولة لصورة معقولة ، ولا صورة معقولة في
 مادة معقولة ، ولا له قسمة لا في الكم ، ولا في المبادئ ، ولا في القول ،
 فهو واحد من هذه الجهات الثلاث .

(النجاة : ٣٧١-٣٧٢)

الواجب واحد

لا يجوز ان يكون نوع واجب الوجود لغير ذاته ، لان وجود نوعه
 له بعينه اما ان تقتضيه ذات نوعه ، او لا تقتضيه ذات نوعه ، بل تقتضيه

علة . فان كان معنى نوعه له ، لذات معنى نوعه ، لم يوجد الا له . وان كان
لعلة فهو معلول ناقص ، وليس واجب الوجود . وكيف يمكن ان تكون
الماهية المجردة عن المادة لذاتين ، والشئان انما يكونان اثنين اما بسبب
المعنى ، واما بسبب الحامل للمعنى ، واما بسبب الوضع والمكان ، او بسبب
الوقت والزمان ، وبالجملة لعلة من العلل . وكل اثنين لا يختلفان بالمعنى ،
فالما يختلفان بشي . غير المعنى . وكل معنى موجود بعينه لكثيرين مختلفين
فهو متعلق الذات بشي . مما ذكرناه من العلل ، ولو احق العلل ، فليس
واجب الوجود . واقول قولاً مرسلًا : ان كل ما ليس لمعنى ، ولا يجوز
ان يتعلق الا بذاته فقط ، فلا يخالف مثله بالعدد ، فلا يكون اذا له
مثل ، لان المثل يخالف بالعدد . فبين من هذا ان واجب الوجود لذاته لا
ند له ، ولا مثل ، ولا ضد ، لان الازداد متفاسدة ومشاركة في الموضوع ،
وواجب الوجود بريء من المادة .

(النجاة : ص ٣٧٤)



كل ما يجب وجوده ، فليس يجب وجوده بما يشارك به غيره ، ولا
يتم به وحده وجوب ذاته ، بل انما يتم وجوده بجميع ما يشارك به غيره ،
وبما يتم به وجود ذاته .

فالذي يتم به وجوده ، ويزيد على ما يشارك به غيره ، فاما ان
يكون شرطاً في نفس وجوب الوجود ، واما ان لا يكون .

فان كان ذلك كله شرطاً في نفس وجوب الوجود ، وجب ان يوجد
لكل واجب الوجود ، فيوجد كل ما يوجد لكل واحدة من الماهيتين
للاخرى ، فلا يكون بينهما انفصال البتة بقوم . وقد وضع بينها اختلاف
في هذا النوع . هذا خلف .

واما ان لم يكن شرطاً في نفس وجوب الوجود ، وما ليس بشرط في الشيء فالشيء يتم دونة ، فوجوب الوجود يتم دون ما اختلفا فيه .
(النجاة : ص ٣٧٨)

الواجب عالم بالاسباب

انه اذا عقل ذاته ، وعقل انه مبدأ كل موجود ، عقل اوائل الموجودات عنه ، وما يتولد عنها ، ولا شيء من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما واجباً بسببه — وقد بينا هذا — فتكون هذه الاسباب تتأدى بمصادماتها الى ان توجد عنها الامور الجزئية . فالاول يعلم الاسباب ومطابقتها ، فيعلم ضرورة ما تتأدى اليه ، وما يبينها من الازمنة ، وما لها من العودات ، لانه ليس يمكن ان يعلم تلك ولا يعلم هذه ، فيكون مدركاً للامور الجزئية من حيث هي كلية ، اعني من حيث لها صفات ، وان تخصصت بها شخصاً فبالاضافة الى زمان متشخص ، او حال متشخص ، لو اخذ تلك الحال بصفاتها ، كانت ايضاً بمنزلتها ، لكنها لكونها مستندة الى مبادئ كل واحد منها نوعه في شخصه ، فيستند الى امور شخصية . وقد قلنا ان من هذا الاسناد قد يجعل للشخصيات رسماً ووصفاً مقصوراً عليها ، فان كان ذلك الشخص مما هو عند العقل شخصياً ايضاً ، كان للعقل الى ذلك المرسوم سبيل ، وذلك هو الشخص الذي هو واحد في نوعه ، لا نظير له ، ككرة الشمس مثلاً ، او كالمشتري . واما اذا كان منتشرراً في الاشخاص فلم يكن للعقل الى رسم ذلك الشيء سبيل ، الا ان يشار اليه ابتداء على ما عرفته .

ونعود فنقول : وكما انك اذ تعلم الحركات السماوية كلها ، فانت تعلم كل كسوف ، وكل اتصال وانفصال جزئي يكون بعينه ، ولكن على نحو كلي ، لانك تقول في كسوف ما انه كسوف يكون بعد زمان

حركة كوكب كذا ، من موضع كذا ، شمالياً بصفة كذا ، لينفصل القمر
 منه الى مقابلة كذا ، ويكون بينه وبين كسوف مثله سابق عليه او
 متأخر عنه مدة كذا ، وكذلك حال الكسوفين الآخرين ، حتى لا يبقى
 عارض من عوارض تلك الكسوفات الا علمته ، ولكنك علمته كلياً ،
 لان هذا المعنى قد يجوز ان يحمل على كسوفات كثيرة ، كل واحد منها
 تكون حاله تلك الحال ، لكنك تعلم بجهة ما ان ذلك الكسوف لا
 يكون الا واحداً بعينه ، وهذا لا يدفع الكليّة ان تذكرت ما قلناه
 قبل . ولكنك مع هذا كله ربما لم تجز أن تحكم بوجود هذا الكسوف ،
 في هذا الآن ، او لا وجوده ، الا ان تعرف جزئيات الحركات بالمشاهدة
 الحسية ، وتعلم ما بين هذا المشاهد وبين ذلك الكسوف من المدة .
 وليس هذا نفس معرفتك بان في الحركات حركة جزئية صفتها ما شاهدت ،
 وبينها وبين الكسوف الفلاني كذا . فان ذلك قد يجوز ان تعلمه على هذا
 النوع من العلم ، ولا تعلمه بوقت ما تسأل انها هل هي موجودة ، بل
 يجب ان يكون قد حصل ذلك بالمشاهدة شي . مشار اليه ، حتى تعلم
 حال ذلك الكسوف . فان منع مانع ان يسمى هذا معرفة للجزئي من
 جهة كلية ، فلا مناقشة معه ، لان غرضنا الآن في غير ذلك ، وهو تعريفنا
 ان الامور الجزئية كيف تعلم وتدرّك علماً وادراكاً لا يتغير معها العالم ،
 وكيف يعلم ويدرك علماً يتغير معه العالم . فانك اذا علمت امر الكسوفات ،
 كما توجد انت ، او كنت موجوداً دائماً ، ام كان لك علم لا بالكسوفات
 المطلقة ، بل بكل كسوف كائن ، ثم كان وجود ذلك الكسوف وعدمه
 لا يغيّر منك امراً ، فان علمك في الحالين يكون واحداً ، وهو ان كسوفاً
 له وجودٌ بصفات كذا ، بعد كسوف كذا ، او بعد وجود الشمس في الحمل
 كذا ، في مدة كذا ، ويكون بعده كذا ، وبعده كذا ، ويكون هذا
 العقل منك صادقاً قبل ذلك الكسوف ومعه وبعده .

فاما ان ادخلت الزمان في ذلك ، فعلمت ، في آن مفروض ، ان هذا الكسوف ليس بموجود ، ثم علمت في آن آخر انه موجود ، ثم لا يبقى علمك ذلك عند وجوده ، بل يحدث علم آخر قبل التغير الذي اشرفنا اليه قبل ، ولم يصح ان تكون في وقت الانجلاء على ما كنت قبل الانجلاء ، فهذا لانك زمني وآني . واما الاول الذي لا يدخل في زمان وحكمه ، فهو بعيد ان يحكم حكماً في هذا الزمان ، وذلك الزمان ، من حيث هو فيه ، ومن حيث هو حكم منه جديد ، ام معرفة جديدة .
واعلم انك انا كنت تتوصل الى ادراك الكسوفات الجزئية لاحاطتك باسبابها ، واحاطتك بكل ما في السماء . واذا وقعت الاحاطة بجميع الاسباب في الاشياء ووجودها انتقل منها الى جميع المسببات ...
(النجاة : ٤٠٤-٤٠٧)

الوجوب عالم

اشارة : واجب الوجود يجب ان يعقل ذاته بذاته ، على ما تحقق ، ويعقل ما بعده من حيث هو علة لما بعده ومنه وجوده^(١) ، ويعقل سائر الاشياء من حيث وجوبها في سلسلة الترتيب النازل من عنده ...
اشارة : ادراك الاول للاشياء من ذاته ، في ذاته ، هو افضل النحاء كون الشيء مدرَكًا ومدرَكًا ...

اشارة : الاشياء الجزئية قد تُعقل كما تُعقل الكليات ، من حيث تجب باسبابها ، منسوبة الى مبدأ نوعه في شخصه ، تتخصص به^(٢) ، كالكسوف الجزئي فانه قد يُعقل وقوعه بسبب توافي^(٣) اسبابه الجزئية ، واحاطة العقل

(١) اي وجود المعلول .

(٢) اي بالمبدأ .

(٣) اي اكتمال .

بها ، وتعتلها كما تُعقل الكليات . وذلك غير الادراك الجزئي الزماني لها ،
الذي يحكم انه وقع الآن او قبله او يقع بعده ، مثل ^(١) ان يُعقل ان
كسوفاً جزئياً يعرض عند حصول القمر ، وهو جزئيٌ ما ، وقت كذا ، وهو
جزئيٌ ما ، في مقابلة كذا . ثم ربما وقع ذلك الكسوف ، ولم تكن عند
العاقل الاول احاطةً بانه وقع او لم يقع ، وان كان معقولاً على النحو
الاول ^(٢) ، لأن هذا ^(٣) ادراك آخر جزئيٌ يحدث مع حدوث المدرك ، ويؤول
مع زواله ، وذلك الاول ^(٤) يكون ثابتاً الدهر كله ، وان كان علماً بجزئي ،
وهو ان العاقل يعقل أن بين كون القمر في موضع كذا وبين كونه في
موضع كذا يكون كسوفٌ معين ، في وقتٍ معين ، من زمان أولٍ الخالين ،
محدودٍ عقله . وذلك ^(٥) امرٌ ثابت قبل كون الكسوف ، ومعه ، وبعده ...
تذنب : الواجب الوجود يجب ان لا يكون علمه بالجزئيات علماً
زمانياً ، حتى يدخل فيه الآن والماضي والمستقبل ، فيعرض لصفة ذاته ان
تتغير . بل يجب ان يكون علمه بالجزئيات على الوجه المقدس العالي على
الزمان والدهر . ويجب ان يكون علماً بكل شيء ، لان كل شيء
لازم بوسط ، او بغير وسط ...

(الاشارات : ١٨١-١٨٥)

المعلول الاول واحد بسيط

اشارة : الاول ليس فيه حيثتان لوحداثيته ، فيلزم ، كما علمت ، ان
لا يكون مبدأً الا لواحد بسيط ، اللهم الا بالتوسط . وكل جسم ، كما

(١) المثل على العلم بالاسباب ، لا على العلم الزماني .

(٢) اي الادراك بالاسباب .

(٣) الادراك الزماني الثاني .

(٤) الادراك بالاسباب .

(٥) الادراك بالاسباب .

علمت ، مركَّب من هيولى وصورة ، فيتَّضح لك ان المبدأ الاقرب لوجوده
 اثنان ، او مبدأ فيه حيثَّان ، ليصحَّ ان يكون عنه اثنان معاً ، لانك
 علمت انه ليس ولا واحدة من الهيولى والصورة علّة للأخرى بالاطلاق ،
 ولا واسطة بالاطلاق ، بل تحتاجان الى ما هو علّة لكل واحدة منهما ،
 او لهما معاً ، ولا تكونان معاً عمّا لا ينقسم ، بغير توسُّط . فالمعلول الاول
 عقل ، غير جسم . وانت فقد صحَّ لك وجود عدّة عقول متباينة ، ولا
 شك ان هذا المبدع الاول في سلسلتها ، او في حيّزها العقلي .
 (الاشارات : ١٦٨)

كيفية الفيض

١ - هداية وتحصيل : فقد بان لك أن جواهر غير جسمانية موجودة ،
 وأن ليس واجب الوجود الا واحداً فقط ، لا يشارك شيئاً آخر في جنس ،
 ولا نوع . فتكون هذه الكثرة من الجواهر ، الغير الجسمانية ، معالولة .
 وقد علمت ايضاً ان الاجسام السبائية معالولة لعلل غير جسمانية ، فتكون
 هي من هذه الكثرة . وقد علمت ان واجب الوجود لا يجوز ان يكون
 مبدأ لاثنتين معاً الا بتوسُّط احدهما ، ولا مبدأ للجسم الا بتوسط ، فيجب
 اذن ان يكون المعاول الاول منه جوهرًا من هذه الجواهر العقلية واحداً ،
 وأن تكون الجواهر العقلية الأخر بتوسط ذلك الواحد ، والسبائيات
 بتوسُّط العقلیات .

زيادة تحصيل : وليس يجوز ان تترتب العقلیات ترتبها ، ويلزم الجسم
 السبائي عن آخرها ، لان لكل جسم سماوي مبدأً عقلياً ، اذ ليس الجسم
 الساوي بتوسُّط جرم سماوي ، فيجب ان تكون الاجرام السماوية
 تبتدئ في الوجود مع استمرار باقى الجواهر العقلية ، من حيث لزوم
 وجودها ، نازلة في استفادة الوجود مع نزول السباويات .

زيادة تحصيل : فمن الضرورة اذا ان يكون جوهر عقلي يلزم عنه جوهر عقلي ، وجرم سماوي . ومعلوم ان اثنين انما يلزمان من واحد من حيثين ، ولا حيثيتي اختلاف هناك الا ما لكل شيء منها انه بذاته امكاني الوجود ، وبالأول واجب الوجود ، وانه يعقل ذاته ، ويعقل الأول . فيكون بما له من عقله الأول ، الموجب لوجوده ، وبما له من حاله عنده ، مبدأ شيء ، وبما له من ذاته مبدأ شيء آخر . ولانه معلول ، فلا مانع من ان يكون هو مقوماً من مختلفات . وكيف لا ، وله ماهية امكانية ، ووجود من غيره واجب ؟ ثم يجب ان يكون الامر الصوري منه مبدأ للكائن الصوري ، والامر الاشبه بالمادة مبدأ للكائن المناسب للمادة ، فيكون بما هو عاقل للأول ، الذي وجب به ، مبدأ لجوهر عقلي ، وبالأخر مبدأ لجوهر جسماني . ويجوز ان يكون الآخر تفصيل ايضاً الى امرين بها يصير سبباً لصورة ومادة جسميتين .

•

تذكير : فالأول يُبدع جوهرًا عقلياً ، هو بالحقيقة مبدع ، وبتوسطه جوهرًا عقلياً ، وجرماً سماوياً . وكذلك عن ذلك الجوهر العقلي ، حتى تتم الاجرام السماوية ، وتنتهي الى جوهر عقلي لا يلزم عنه جرم سماوي .
اشارة : فيجب ان تكون هيولى العالم العنصري لازمة عن العقل الاخير . ولا يمتنع ان يكون للاجرام السماوية ضرب من المعاونة فيه ، ولا يكفي ذلك في استقرار لزومها ما لم تقترن بها الصور . وأما الصور فتفيض ايضاً من ذلك العقل ، ولكن تختلف في هيولها بحسب ما يختلف من استحقاقها لها بحسب استعداداتها المختلفة . ولا مبدأ لاختلافها الا الاجرام السماوية . وهناك توجد صور العناصر ، وتجب فيها ، بحسب نسبتها من السماوية ، ومن أمور منبعثة عن السماوية ، امتزاجات مختلفة الاعدادات لقوى تعددها ، وهناك تفيض النفوس النباتية ، والحيوانية ، والناطقة من

الجوهر العقلي الذي يلي هذا العالم . وعند الناطقة يقف ترتب وجود الجواهر العقلية ، وهي المحتاجة الى الاستكمال بالآلات البدنية ، وما يليها من الافاضات العالية . وهذه الجملة وان اوردناها على سبيل الاقتناص ، فان تأملك ما أعطيت من الاصول يهديك سبيل تحققها عن طريق البرهان .
(الاشارات : ١٧٣-١٧٥)



٢ - الحق الاول انما فعله الاول ، وبالذات ، انه يعقل ذاته ، التي هي — لذاتها — مبدأ لنظام الخير في الوجود ، فهو عاقل لنظام الخير في الوجود كيف ينبغي ان يكون ، لا عقلاً خارجاً عن القوة الى الفعل ، ولا عقلاً منتقلاً من معقول الى معقول ، — فان ذاته بريئة عما بالقوة من كل وجه
— بل عقلاً واحداً معاً .

ويازم ما يعقله من نظام الخير في الوجود ، اذ يعقل انه كيف يمكن ، وكيف يكون افضل ما يكون ، ان يحصل وجود الكل على مقتضى معقوله . فان الحقيقة المعقولة عنده هي بعينها ، على ما علمت ، علم وقدره وارادة . واما نحن فنحتاج في تنفيذ ما نتصوره الى قصد ، وإلى حركة وارادة وهو لا يحسن فيه ذلك ولا يصح ، لبراءته من الاثنينية فتعقله علة للوجود على ما يعقله ، ووجود ما يوجد عنه على سبيل لزوم لوجوده ، وتبع لوجوده ، لا أن وجوده لاجل وجود شيء آخر غيره . وهو فاعل الكل ، بمعنى انه الموجود الذي يفيض عنه كل وجود فيضاً تاماً مابيناً لذاته . ولأن كون ما تكون عن الاول انما هو على سبيل الزوم ، اذ صح ان الواجب بذاته واجب الوجود من جميع جهاته . . . ، فلا يجوز ان يكون اول الموجودات عنه ، وهي المبدعات ، كثيرة ، لا بالعدد ، ولا بالانقسام الى مادة وصورة . . . فان لزم منه شيان متباينان بالقوام ، او شيان متباينان يكون منهما شيء واحد ، مثل مادة وصورة ، لزوماً معاً ، فانما يلزمان على

جهتين مختلفتين في ذاته . . . فيكون ذاته منقسماً بالمعنى . وقد منعنا هذا
 قبل وبيننا فساداً . فبين ان اول الموجودات عن العلة الاولى واحد بالعدد ،
 وذاته وماهيته موجودة لا في مادة ، فليس شيء من الاجسام ، ولا من
 الصور التي هي كالات الاجسام ، معلولاً قريباً له ، بل المعلول الاول
 عقل محض ، لانه صورة لا في مادة . وهو اول العقول المفارقة التي عددناها ،
 ويشبه ان يكون هو المبدأ المحرك للجرم الاقصى على سبيل التشويق . . .
 وانت تعلم ان ههنا عقولاً ونفوساً مفارقة كثيرة ، فحال ان يكون
 وجودها مستفاداً بتوسط ما ليس له وجود مفارق . لكنك تعلم ان في
 جملة الموجودات عن الاول اجساماً ، اذ علمت ان كل جسم ممكن الوجود
 في حد نفسه ، وانه يجب بغيره ؛ وعلمت انه لا سبيل الى ان تكون عن
 الاول بغير واسطة ، فهي كائنة عنه بواسطة ؛ وعلمت انه لا يجوز ان تكون
 بواسطة واحدة محضة ، فقد علمت ان الواحد ، من حيث هو واحد ، انما
 يوجد عنه واحد ، فبالحري ان تكون عن المبدعات الاولى ، بسبب اثنيينية
 يجب ان تكون فيها ضرورة ، او كثرة كيف كانت . ولا يمكن في
 العقول المفارقة شيء من الكثرة الا على ما اقول : ان المعلول بذاته ممكن
 الوجود ، وبالاول واجب الوجود . ووجوب وجوده بانه عقل ، وهو يعقل
 ذاته ، ويعقل الاول ضرورة . فيجب ان يكون فيه من الكثرة معنى
 عقله لذاته ممكن الوجود في حد نفسها ، وعقله وجوب وجوده من الاول
 المعقول بذاته ، وعقله الاول . وليست الكثرة له عن الاول ، فان إمكان
 وجوده امر له بذاته ، لا بسبب الاول ؛ بل له من الاول وجوب وجوده ،
 ثم كثرة انه يعقل الاول ، ويعقل ذاته كثرة لازمة لوجوب حدوته عن
 الاول . ونحن لا نمنع ان يكون عن شيء واحد ذات واحدة ، ثم يتبعها
 كثرة اضافية ، ليست في اول وجوده ، وداخلة في مبدأ قوامه . بل يجوز
 ان يكون الواحد يلزم عنه واحد ، ثم ذلك الواحد يلزمه حكم وحال

او صفة او معلول . ويكون ذلك ايضاً واحداً ، ثم يلزم عنه ، بشاركة ذلك اللازم ، شيء ، فتتبع من هناك كثرة كلها تلزم ذاته . فيجب اذاً ان يكون مثل هذه الكثرة هي العلة لامكان وجود الكثرة معاً عن المعلولات الاولى . ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن ان يوجد منها الا وحدة ، ولا يمكن ان يوجد عنها جسم . ثم لا امكان كثرة هناك الا على هذا الوجه فقط .

وقد بان لنا ، في ما سلف ، ان العقول المفارقة كثيرة العدد ، فليست اذاً موجودة معاً عن الاول ، بل يجب ان يكون اعلاها هو الموجود الاول عنه ، ثم يتلوه عقل وعقل . ولأن تحت كل عقل فلماً بادته وصورته — التي هي النفس — وعقلاً دونه ، فتحت كل عقل ثلاثة اشياء في الوجود . فيجب ان يكون امكان وجود هذه الثلاثة عن ذلك العقل الاول في الابداع لاجل التثليث المذكور فيه . والافضل يتبع الافضل من جهات كثيرة . فيكون اذاً العقل الاول يلزم عنه ، بما يعقل الاول ، وجود عقل تحته ؛ وبما يعقل ذاته ، وجود صورة الفلك الاقصى وكالها ، وهي النفس ؛ وبطبيعة امكان الوجود ، الحاصلة له ، المندرجة في تعقله لذاته ، وجود جرمية الفلك الاقصى المندرجة في جملة ذات الفلك الاقصى بنوعه ، وهو الامر المشترك للقوة . فبما يعقل الاول يلزم عنه عقل . وبما يختص بذاته ، على جهتيه ، الكثرة الاولى بجزئها ، اعني المادة والصورة ...

وكذلك الحال في عقل عقل ، وفلك فلك ، حتى يُنتهى الى العقل الفعّال ، الذي يدبر انفسنا . وليس يجب ان يذهب هذا المعنى الى غير النهاية ، حتى يكون تحت كل مفارق مفارق ، فاننا نقول : انه ، ان لزم وجود الكثرة عن العقول ، فبسبب المعاني التي فيها من الكثرة . وقولنا هذا ليس ينعكس ، حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة ، فتلزم

كثرت هذه العلولات ، ولا هذه العقول متفقة الانواع حتى يكون مقتضى معانيها متفقاً .

(النجاة : ٤٤٩-٤٥٥)

الانسان عالم اصغر

ان الله تعالى ، لما خلق الحيوان بعد النبات والمعادن والاركان ، وبعد الافلاك والكواكب والنفوس المجردة والعقول الكاملة بذاتها ، وفرغ عن الابداع والخلق ، فاراد ان ينتهي الخلق على اكل نوع كما ابتداء على اكل جنس ، فميز من بين المخلوقات الانسان ليكون الابتداء بالعقل ، والختم بالعقل ، وبدأ باشرف الجواهر وهو العقل وختم على اشرف الموجودات وهو العاقل . فقائدة الخلق هو الانسان لا غير^(١) .

واذا عرفت هذا فاعلم ان الانسان هو العالم الاصغر . . . بكل قوة . يشارك صنفاً من الموجودات : بالحيواني يشارك الحيوانات ، وبالطبيعي يشارك النبات ، وبالانساني يوافق الملائكة .

(رسالة في ماهية الصلاة)

رضي الاول بالقبض

قد صح لنا ، في ما قدمناه من القول ، أن الواجب الوجود بذاته واحد ، وانه ليس بجسم ، ولا في جسم ، ولا ينقسم بوجه من الوجود . فاذا الموجودات كلها وجودها عنه ، ولا يجوز ان يكون له مبدأ بوجه من الوجود ، ولا سبب : لا الذي عنه ، ولا الذي فيه او به يكون ، ولا الذي له ، حتى يكون لاجل شيء .

فلهذا لا يجوز ان يكون كون الكل عنه على سبيل قصد منه

(١) بعض المخطوطات تحمل : لا غير .

كقصدنا لتكوين الكل ، ولوجود الكل ؛ فيكون قاصداً لاجل شيء
غيره . وهذا ... يؤدي الى تكاثر ذاته ، فانه حينئذ يكون فيه شيء
بسببه يقصد ، وهو معرفته وعلمه بوجود القصد ، او استجابته ، او خيرية
فيه توجب ذلك ، ثم قصد ، ثم فائدة يفيدها اياه القصد ، ... وهذا
محال .

وليس كون الكل عنه على سبيل الطبع بان يكون وجود الكل
عنه لا بمعرفة ، ولا رضى منه . وكيف يصح هذا ، وهو عقل محض يعقل
ذاته ؟ فيجب ان يعقل انه يلزمه وجود الكل عنه ، لانه لا يعقل ذاته
الا عقلاً محضاً ، ومبدأً أولاً ، وانما يعقل وجود الكل عنه على انه مبدأ ،
وليس في ذاته مانع او كاره لصدور الكل عنه ، وذاته عالمة بان كماله
وعاوه بحيث يفيض عنه الخير ، وان ذلك من لوازم جلالته المعشوقة له
لذاتها ... فالاول راضٍ بفيضان الكل عنه .
(النجاة : ٤٤٨-٤٤٩)

فهرم العالم

١ - ما الحادث والقديم ؟

يقال قديم للشيء . اما بحسب الذات ، واما بحسب الزمان . فالقديم
بحسب الذات هو الذي ليس لذاته مبدأ هي به موجودة ، والقديم بحسب
الزمان هو الذي لا اول لزمانه .

والحدث ايضاً على وجهين . احدهما هو الذي لذاته مبدأ هي به
موجودة . والآخر هو الذي لزمانه ابتداء ، وقد كان وقت لم يكن ،
وكانت قبلية هو فيها معدوم ، وقد بطلت تلك قبلية . ومعنى ذلك كله
انه يوجد زمان هو فيه معدوم ، وذلك لان كل ما لزمان وجوده بداية
زمانية دون البداية الابداعية ، فقد سبقه زمان ، وسبقته مادة ، قبل

وجوده ، لانه قد كان لا محالة معدوماً فاما ان يكون عدمه قبل وجوده
او مع وجوده . والقسم الثاني محال ، فبقي ان يكون معدوماً قبل وجوده .
فلا يخلو اما ان يكون لوجوده قبل ، او لا يكون . فان لم يكن
لوجوده قبل ، فلم يكن معدوماً قبل وجوده . وان كان لوجوده قبل ،
فاما ان يكون ذلك القبل معدوماً او شيئاً موجوداً . فان كان شيئاً معدوماً
فلم يكن له قبلٌ موجودٌ كان فيه معدوماً . وايضاً فان القبل المعدوم
موجود مع وجوده . فبقي ان القبل ، الذي كان له ، شيءٌ موجودٌ ، وذلك
الشيء الموجود ليس الآن موجوداً ، فهو شيء قد مضى وكان موجوداً ،
وذلك اما ماهية لذاته وهو الزمان ، واما ماهية لغيره وهو زمانه ، فيثبت
الزمان على كل حال .

(النجاة : ٣٥٥-٣٥٦)

٢ - حدوث العالم تغير في الواجب

مبدأ الكل ذاتٌ واجبة الوجود ، وواجب الوجود واجب ان يوجد
ما يوجد عنه ، والا فله حالٌ لم تكن ، فليس واجب الوجود من جميع
جهاته . فان وضعت الحال الحادثة لا في ذاته ، بل خارجةً عن ذاته ، كما
يضع بعضهم الارادة ، فالكلام على حدوث الارادة عنه ثابت أهو بالارادة ،
او طبعاً ، او لامر آخر ابي امر كان . ومهما وضع امرٌ حدث ، بعد ان لم
يكن ، فاما ان يوضع حادثاً في ذاته ، واما غير حادث في ذاته ، بل على
انه شيءٌ مباينٌ لذاته ، فيكون الكلام فيه ثابتاً . وان حدث في ذاته ،
كان ذاته متغيراً ، وقد بين ان واجب الوجود بذاته واجب الوجود من
جميع جهاته . وايضاً اذا كان هو ، عند حدوث المباينات عنه ، كما كان
قبل حدوثها ، ولم يعرض البتة شيءٌ لم يكن ، وكان الامر على ما كان
ولم يوجد عنده شيء ، فليس يجب ان يوجد عنه شيء ، بل يكون الامر
والحال على ما كان . فلا بد من تمييز لوجوب الوجود عنه ، او ترجيح

الوجود عنه بحادث متوسط لم يكن حين كان التجميع للعدم عنه ، وكان التعطل عن الفعل حاله . وليس هذا امراً خارجاً عنه . فاننا نتكلم في حدوث الحادث عنه نفسه ، بلا واسطة امر يحدث فيحدث به الثاني ، كما يقولون في الارادة والمراد . والعقل الصريح الذي لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة ، اذا كانت من جميع جهاتها كما كانت ، وكان لا يوجد عنها فيما قبل شيء ، وهي الآن كذلك ، فالآن ايضاً لا يوجد عنها شيء . فاذا صار الآن يوجد عنها شيء ، فقد حدث في الذات قصد ، او ارادة ، او طبع ، او قدرة وتمكن ، او شيء مما يشبه هذا لم يكن . ومن انكر هذا فقد فارق مقتضى عقله لساناً ، ويعود اليه ضميراً . فان الممكن ان يوجد ، وان لا يوجد ، لا يخرج الى الفعل ، ولا يترجع له ان يوجد ، الا بسبب .

(النجاة : ٤١٥-٤١٦)

٣ - لا وقت اول من وقت

كيف يجوز ان يتميز في العدم وقت ترك ، ووقت شروع ، وبما يخالف الوقت الوقت ؟ وايضاً اذ بان ان الحادث لا يحدث الا بحادث حال في المبدأ ، فلا يخلو اما ان يكون حدوث ما يحدث عن الاول بالطبع ، او عرض فيه غير الارادة ، او بالارادة ، اذ ليس بقسري ولا اتفاقاً . فان كان بالطبع فقد تغير الطبع . او كان بالعرض فقد تغير العرض . وان كان بالارادة ، فليزّل انها حدثت فيه ، او مباينة له . بل نقول : اما ... المراد ... فلم لم يوجد قبل ؟ اتراه استصلحه الآن ، او حدث وقته ، او قدر عليه الان ؟ ولا نعتي فيما نقوله قول القائل : ان هذا السؤال باطل ، لان السؤال في كل وقت عائد ، بل هذا سؤال حق ، لانه في كل وقت عائد ولازم .

(النجاة : ص ٤١٨)

الواجب غني جواد

أتعرف ما الغني ؟ الغني التام هو الذي يكون غير متعلق بشيء خارج عنه في امور ثلاثة : في ذاته ، وفي هيئات متمكنة من ذاته ، وفي هيئات كمالية اضافية لذاته ...

اعلم ان الشيء الذي انما يحسن به ان يكون عنه شيء آخر ، ويكون ذلك اولى واليق من ان لا يكون ، فانه اذا لم يكن عنه ذلك لم يكن ما هو اولى واحسن مطلقاً ... فهو مسلوب كمال ما ...

فما اقبح ما يقال من ان الامور العالية تحاول ان تفعل شيئاً لما تحتها لان ذلك احسن بها ، ... وان الاول الحق يفعل شيئاً لاجل شيء ، وان لفعله لمية ...

أتعرف ما الجود ؟ الجود افادة ما ينبغي لا لعوض ... فمن جاء ليشرف ، او ليحمد ، او ليحسن ما يفعل فهو مستعيب غير جواد. فالجواد الحق هو الذي تفيض منه الفوائد لا لشوق منه ، وطلب قصدي شيء يعود اليه ...

اعلم ان ما يقال من ان فعل الخير واجب حسن في نفسه لا مدخل له في ان يختاره الغني ، الا ان يكون الاتيان بذلك الحسن يُترّقه ويمجّده ويذكّيه ، ويكون تركه يُنقص منه ويثله . وكل هذا ضد الغني .

لا تجد ان طلبت مخلصاً الا ان تقول : ان تمثل النظام الكلي في العلم السابق ، مع وقته الواجب اللائق ، يفيض منه ذلك النظام على ترتيبه ، في تفاصيله ، معقولا فيضانه . وذلك هو العناية .

(الاشارات : ١٥٨-١٦٠)

العناية والشر

وخلق بنا ، اذ بلغنا هذا الموضع ، ان نحقق القول في العناية . ولا نشك انه قد اتضح لك ، فيما سلف لنا بيانه ، ان العلل العالية لا يجوز ان تعمل ما تعمل من العناية لاجلنا . او تكون بالجملة يههما شيء ، ويدعوها داع ، ويعرض عليها اثار . ولا لك سبيل الى ان تذكر الآثار العجيبة في تكوّن العالم واجزاء السماويات ، واجزاء النبات والحيوان ، مما لا يصدر ذلك اتفاقاً ، بل يقتضي تدبيراً ما . فيجب ان تعلم ان العناية هي كون الاول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير ، وعلّة لذاته للخير والكمال بحسب الامكان ، وراضياً به على النحو المذكور ، فيعقل نظام الخير على الوجه الابلق في الامكان ، فيفيض عنه ما يعقله نظاماً ما ، وخيراً على الوجه الابلق الذي يعقله ، فيضاً على اتم تأدية الى النظام بحسب الامكان . فهذا هو معنى العناية .

واعلم ان الشر على وجوده : فيقال شر لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلقة ، ويقال شر لما هو مثل الالم والغم ...
وجميع اسباب الشر انما يوجد فيها تحت فلك القمر ، وجملة ما تحت القمر طفيف بالقياس الى سائر الوجود كما علمت .

ثم ان الشر انما يصيب اشخاصاً ، وفي اوقات ، والانواع محفوظة . وليس الشر الحقيقي يعم اكثر الاشخاص ...

ومع ذلك فان وجود ذلك الشر في الاشياء ضرورة تابعة للحاجة الى الخير ، فان هذه العناصر لو لم تكن بحيث تتضاد وتنفعل عن الغالب ، لم يمكن ان تكون عنها هذه الانواع الشريفة . ولو لم يمكن النار منها بحيث اذا تأدت بها المصادمات الواقعة في مجرى الكل على الضرورة الى ملاقة ردا . رجل شريف وجب احراقه ، لم تكن منتفعاً بها النفع العام .

فوجب ضرورة ان يكون الخير الممكن في هذه الاشياء انما يكون خيراً بعد ان يمكن وقوع مثل هذا الشر عنه، ومعه. وافاضته الخير لا يوجب ان يترك الخير الغالب لشر ينذر، فيكون تركه شراً من ذلك الشر، لان عدم ما يمكن في طباع المادّة وجوده، اذا كان عدمين، شر من عدم واحد. ولهذا ما يؤثر العاقل الاحتراق بالنار، بشرط ان يسلم منها حياً، على الموت بلا ألم. فلو ترك هذا القبيل من الخير لكان يكون ذلك شراً فوق هذا الشر الكائن بإيجاده، وكان في مقتضى العقل المحيط بكيفية وجوب الترتيب في نظام الخير ان يعقل استحقاق مثل هذا النمط من الاشياء وجوداً مجزئاً ما يقع معه من الشر ضرورة فوجب ان يفيض وجوده.

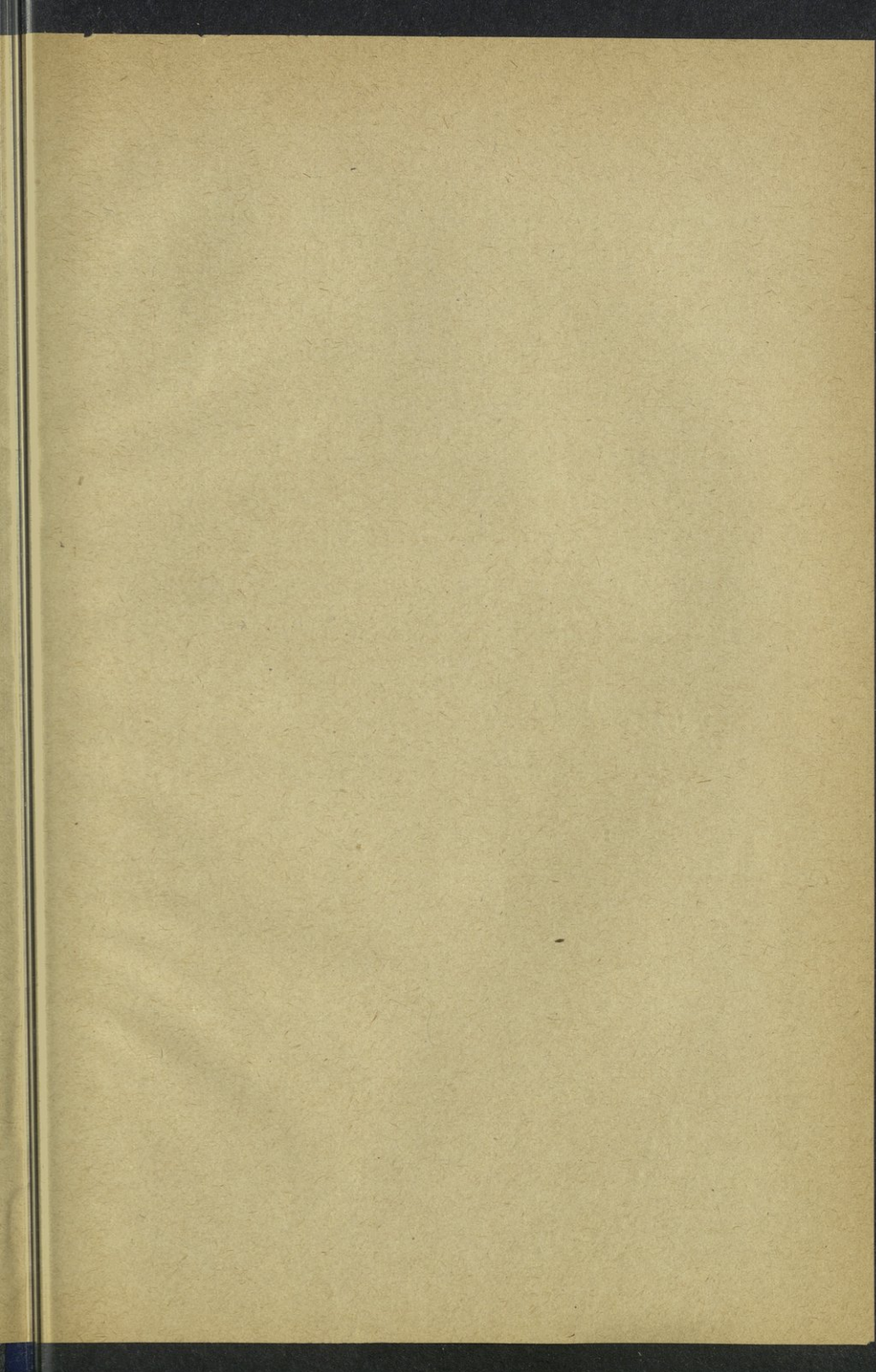
فان قال قائل: وقد كان جائزاً ان يوجد المدير الاول خيراً محضاً مبرأً عن الشر، فيقال: هذا لم يكن جائزاً في مثل هذا النمط من الوجود. وان كان جائزاً في الوجود المطلق. على انه ان كان ضرب من وجود المطلق مبرأً فليس هذا الضرب، وذلك مما قد فاض عن المدير الاول، ووجد في الامور العقلية والنفسية والسمائية؛ وبقي هذا النمط في الامكان، ولم يكن ترك ايجاده لاجل ما قد يناطه من الشر الذي اذا لم يكن مبدؤه موجوداً اصلاً، وترك لئلا يكون هذا الشر، كان ذلك شراً من ان يكون هو. فكونه خير الشرين. ولكان ايضاً يجب ان لا توجد الاسباب الجزئية التي هي قبل هذه الاسباب، التي تؤدي الى الشر بالعرض، فان وجود تلك مستتبع لوجود هذه، فكان فيه اعظم خلل في نظام الخير الكلي...

فما كان يحسن ان تترك المنافع الاكثوية والدائمة لاغراض شرية اقلية. فأريدت الخيرات الكائنة عن هذه الاشياء ارادة اولية، على الوجه الذي يصلح ان يقال ان الله تعالى يريد الاشياء، ويريد الشر ايضاً

على الوجه الذي بالعرض ، اذ علم انه يكون ضرورة ، فلم يعبأ به .
 فالخير مقتضى بالذات ، والشر مقتضى بالعرض ، وكل بقدر . وكذلك فان
 المادة قد علم من امرها انها تعجز عن امور ، وتقتصر عنها الكمالات في
 امور ، لكنها يتم لها ما لا نسبة له كثرة الى ما يقصر عنها . فاذا
 كان كذلك فليس من الحكمة الالهية ان تترك الخيرات الثابتة الدائمة
 والاكثرية لاجل شرور في امور شخصية غير دائمة ...

فان قال قائل : ليس الشر شيئاً نادراً او اقلياً ، بل هو اكثر .
 فليس كذلك : بل الشر كثير ، وليس باكثر . و فرق بين الكثير
 والاكثر . فان ههنا اموراً كثيرة هي كثيرة ، وليست اكثرية ،
 كالامراض فانها كثيرة وليست اكثرية . فاذا تأملت هذا الصنف الذي نحن
 في ذكره من الشر ، وجدته اقل من الخير الذي يقابله ، ويوجد في مادته
 فضلاً عنه بالقياس الى الخيرات الاخرى الابدية .

(النجاة : ٤٦٦-٤٧٦)



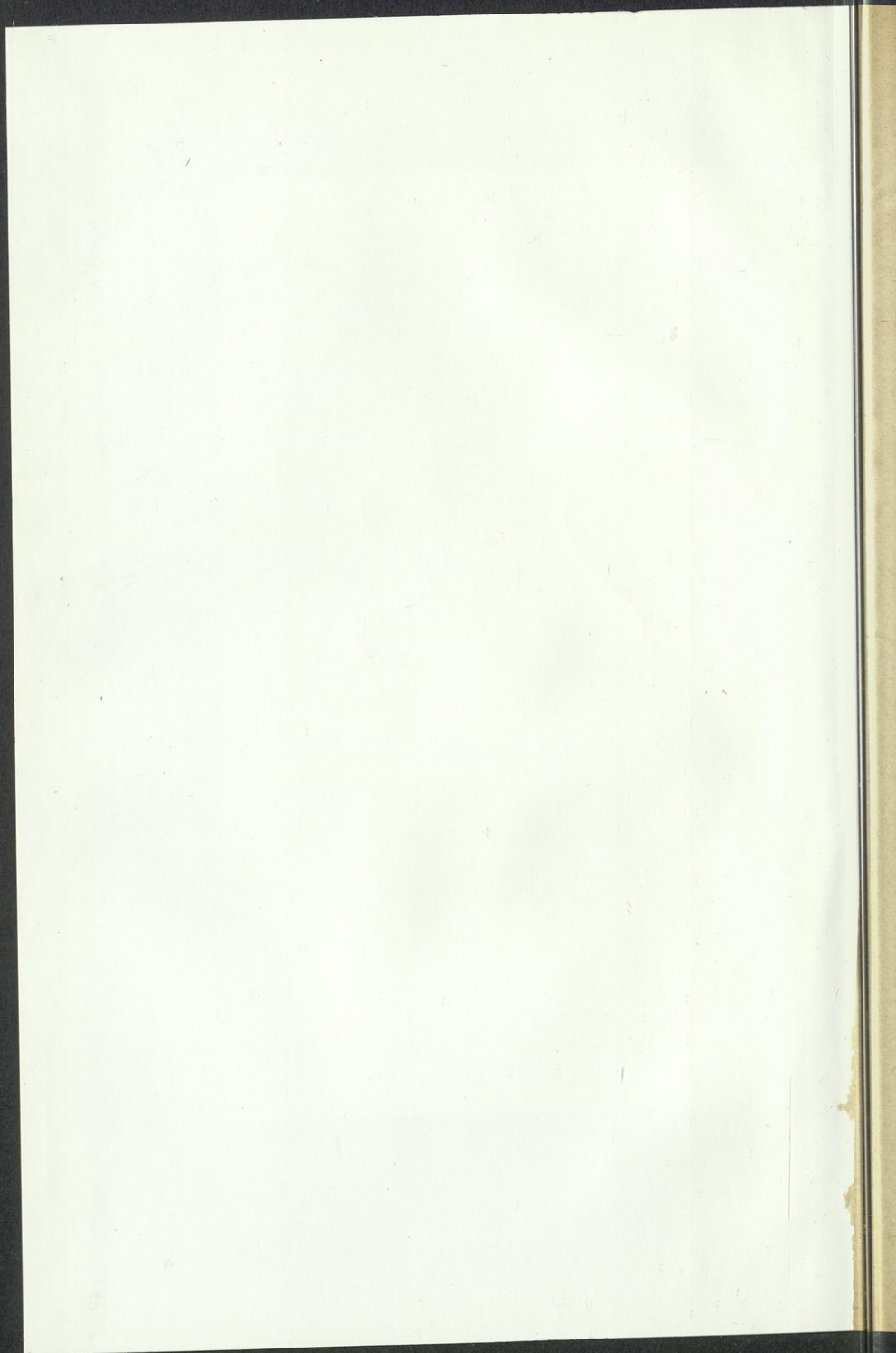
فلاسفة العرب

سلسلة دراسات ومختارات

ظهر منها :

- ١ - ابن الفارض (طبعة ثالثة)
 - ٢ - ابو العلاء المعري (طبعة ثانية)
 - ٣ - ابن خلدون (طبعة ثانية)
 - ٤ - الغزالي : في جزئين (طبعة ثانية)
 - ٥ - ابن طفيل (طبعة ثانية)
 - ٦ - ابن رشد : في جزئين (طبعة ثانية)
 - ٧ - اخوان الصفاء (طبعة ثانية)
 - ٨ - الكندي
 - ٩ - الفارابي : في جزئين
-

تمّ طبع هذا الكتاب
في الخامس عشر من شهر كانون الاول
سنة ١٩٥٥



A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00526136

